

توجيه الإمام ابن القيم .. رحمه الله للقراءات القرآنية

جمعها ووثَّق نصوصها وقدَّم لها

د . عبد العزيز بن حميد الجهني*

* نال درجة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة أم القرى عام ١٤٢٣هـ بتحقيق كتاب "**المختار في معاني قراءات أهل الأمصار**" لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس .

- يعمل أستاذاً مساعداً بكلية المعلمين بجدة.
- عضو في لجنة تطوير المناهج في معهد الإمام الشاطبي بجدة.

الملخص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد؛ فهذا بحث عن (**توجيه ابن القيم رحمه الله للقراءات القرآنية**).

قمت فيه بجمع المواضع التي تحدث فيها عن توجيه القراءات القرآنية واقتصرت في ذلك على القراءات المتواترة وهي مسائل مبثوثة في كتبه، تحدث فيها عرضًا عن هذه القراءات لتوضيح آية أو بيان دليل أو ترجيح قول. وقد وثَّقت هذه المسائل من أمات كتب القراءات التي اعتمدها ابن القيم، كما قمت بتخريج الشواهد النثرية والشعرية من الأصول المعتمدة.

وقد صدَّرتها بتمهيد جعلته في أربعة مباحث، تحدثت في الأول عن نشأة ابن القيم وسيرته باختصار، وجعلت الثاني لبيان مكانته النحوية، أما الثالث فكان عن موقفه من القراءات المتواترة، وكان الرابع عن الملامح البارزة في توجيهه للقراءات. وختمت البحث بفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

والحمد لله أولاً وآخرًا

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرا.

أمَّا بَعْدُ، فإنَّ كتابَ الله عزَّ وجل هو النورُ المبين، والصراطُ المستقيم، والحجةُ الباقية إلى يوم الدين. مَنْ تَمَسَّكَ به نجا، ومَنْ أَعْرَضَ عنه هَلَكَ. جَعَلَ الله فيه صلاحَ الأمة وفلاحَها، وفوزَها في دينها ودنياها، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1]. أَودَعَ فيه الباري جَلَّ في علاه أَسْرَارَ الكَلِم، وبدائع الحِكَم، أخبارَ الأمم، مما يجلُّ عن الوصف، ويحارُ فيه العقل. وهو مع ذلك جامعةُ العلوم، وموسوعةُ الفنون، يجدُ فيه المسلمُ هدايتَه والعالمُ بُغْيَتَه، والمتعلمُ طِلْبَتَه، كما قال ابنُ مسعود ﷺ: مَنْ أرادَ العلمَ، فَلْيُثَوِّرِ القرآن، فإنَّ فيه علمَ الأولين والآخرين[2].

من أجل ذلك صَرَفَ كثيرٌ من أئمة السلف هِمَمَهُمْ، وَوَجَّهُوا عنايتَهم إلى كتاب الله الكريم، ينهلون من معينه، ويتزودون، من علومه، ويغوصون في أسراره، ويبحثون في آياته ومعجزاته.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) جاء في اللسان (ثور): تثويرُ القرآن قراءتُه ومفاتشةُ العلماء به في تفسيره ومعانيه. وقيل: لِيُنَقِّرْ عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته.

ومن جملة هذه العلوم التي صَمدَ لها علماءُ السلف رضوانُ الله عليهم – والتي لها تعلقٌ بكتاب الله الكريم – علمُ القراءات وما يتصلُ به من توجيه أو تعليل أو احتجاج، حيث وَجَدَ فيه الأئمةُ كنزًا لا ينفد، ومعينًا لا ينضب، وَرَوَاءً لا ينقطع.

وقد ضَرَبَ علماءُ النحو واللغة من ذلك بسهم وافر، فقد كانت لهم اليدُ الطولى في توجيه هذه القراءات، وبيان عللها، واستنباط القواعد منها. فوضعوا فيه الكتبَ الرائقة، والمصنفات الفائقة، التي خدمت القرآن ببيان قراءاته، وضبط حروفه ولغاته.

وهذا الجهدُ المبارك، لم يكنْ مقتصرًا على علماء النحو واللغة، بل كان لغيرهم من علماء الإسلام مشاركةٌ في توجيه هذه القراءات؛ لكونها تتعلق بجوانبَ شَتَّى من علوم الدين، كالعقيدة والتفسير والفقه والأصول. لذا تجدُ لكثير من علماء الإسلام – ممن اتَّصَفُوا بالموسوعية والشمول – احتجاجات عدة، مبثوثةً هنا وهناك، لإثبات حكم أو تفسير آية أو ترجيح قول. وهي دلالةُ الرسوخ والاقتدار، كما قال ابن تيمية رحمه الله: والعارفُ في القراءات، الحافظُ لها، له مزية على مَنْ لم يعرفْ ذلك، ولا يعرف إلا قراءةً واحدة[(١)].

ومن أبرز هؤلاء الأفذاذ الذين كان لهم نصيبٌ من هذا العلم شيخُ الإسلام شمس الدين ابنُ قيم الجوزية. الذي طَبَّقَتْ شهرتُه الآفاق، وسارت بكتبه الرُّكبان، فقد وقفتُ في أثناء القراءة والاطِّلاع في كتب هذا الإمام على بعض التوجيهات لعدد من القراءات التي تَعَرَّضَ لها في كتبه المتعددة وتآليفه المتنوعة في معرض حديثه عن الأحكام والعقائد والتفسير والرقائق. فأحببتُ أنْ أجمع هذه التوجيهات

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٤٠٤).

وأنظمها في سلك واحد. واقتصرتُ في ذلك على القراءات المتواترة، السبعية والعشرية. وقد دفعني إلى ذلك أمور، منها:

١- تَعَلُّقُ هذه المباحث بعلم شريف وهو علمُ القراءات. ومن المعلوم أنَّ شَرَفَ العلم من شَرَفِ المعلوم.

٢- إمامةُ مؤلفها، ومكانته في علوم الدين.

٣- الوقوف على جوانب متعددة من علم هذا الإمام.

٤- كون هذه المباحث مبثوثةً في غير مظانها.

٥- الفوائد العديدة، والاستباطات الدقيقة التي تضمنتها هذه التوجيهات، مما لا تكادُ تجدها عند غيره.

وقد صَدَّرْتُ هذا المباحثَ بمقدمة، وتمهيد، وتلوتُها بالفهارس.

تَضَمَّنَ التمهيد أربعة مباحث، قصرتُ الأول منها على ترجمة ابن القيم بشكل مقتضب، وخَصَّصْتُ الثاني لمكانته النحوية، أما الثالث فهو لموقفه من القراءات المتواترة وتحدثت في الرابع عن أبرز الملامح في توجيهه للقراءات.

أما مسائل البحث فقد رتبتها على نسق السور والآيات كما هو متعارف عليه في أبواب القراءات.

وفي الختام أتوجه إلى الله العلي القدير بأنْ يتقبل مني هذا العمل، وأنْ يتجاوزَ عن ما فيه من خلل، وأنْ يغفر لي الزلل. سبحانَ ربِّك ربِّ العزة عَمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

وكتبه د. عبد العزيز بن حميد الجهني

تـــمهيـــد

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نبذة عن نشأة ابن القيم وسيرته:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية، أو بابن القيم.

وُلِدَ في السابع من شهر صفر سنة (٦٩١)هـ. وَتُوفي رحمه الله في ليلة الخميس الثالث عشر من شهر رجب سنة (٧٥١). وله من العمر ستون سنة.

هذان التاريخان بين الولادة والوفاة قضى خلالهما هذا الإمام سنين عمره الحافلة بالعلم والعبادة والزهد والصلاح. وإنَّ الباحث ليصعب عليه أنْ يترجم لعلم كابن القيم بشكل مقتضب وقد أُفردت له المصنفات، وترجم له العشرات إنْ لم يكن المئات[(١)].

لذا ارتأيتُ أنْ أقفَ مع مظهرين بارزين في حياة هذا الإمام كان لهما أثرٌ في تكوينه الخلقي والعلمي:

الأول منهما: نشأته في بيت علم وصلاح، فقد كان أبوه من العُبَّاد الزُّهَّاد، ومن المشاركين في بعض العلوم كالفرائض وغيرها. ولا شكَّ أنَّ هذه البيئة تثمر – بإذن الله – بذرةً صالحة.

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وشيجُه وَتُغْرَسُ إلاَّ في منابتها النخلُ[(٢)]

---

(١) من أوسع من ترجم للعلامة ابن القيم الشيخُ بكر أبو زيد في كتابه الحافل الموعب (ابن قيم الجوزية، حياته آثاره موارده) وهو يغني عن كل ترجمة. وكما قيل: لا عطر بعد عروس.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه (٦٣).

قال عنه ابنُ كثير رحمه الله: كثيرُ التَّوَدُّدِ لا يَحْسدُ أحدًا ولا يُؤْذيه، ولا يستعيبهُ، ولا يحقدُ على أحد.. وبالجملة كان قليلَ النظير في مجموعه وأموره وأحواله. والغالبُ عليه الخير والأخلاق الصالحة[١].

والوقفة الثانية في حياة هذا الإمام هي توفيق الله له بأنْ هَيَّأَ له صحبةَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فلازمه قرابة الستة عشر عامًا، كانت نقطة تحول في حياته، كما أشار إلى ذلك في النونية[٢].

ومن توفيق الله لطالب العلم أنْ يُهَيِّأَ اللهُ له عالمَ سنة في أول أمره، كما يقول بعض السلف. فاحتفى الطالب بشيخه، وعَرَفَ له قدره، ونَهَلَ من علومه، واستقى من معارفه، مع ما فَتَح اللهُ عليه من الفهم والحفظ والذكاء، ومداومة القراءة والاطِّلاع، حتى فاق أقرانه، وبَزَّ خِلاَّنَه، وأصبح علمًا من أعلام الإسلام، الذين يُشَارُ إليهم بالبنان، ويلقون كُلَّ حفاوة وامتنان. وهذه كتبُه تشهدُ بعلمه، وتصدحُ بفهمه، وتُنَادي بإمامته وعُلُوِّ منزلته، يفيءُ إليها العلماء، ويستنيرُ بها النجباء، لِمَا عُرِفَ عنها من العذوبة والنقاء، والسلامة والصفاء، مع العمق والسعة والتحليل، واقتفاء الأثر واتباع الدليل. وأحْسَبُ أنَّ ذلك — والعلم عند الله- لِمَا صاحبها من نُصْح للخلق، وإخلاص للخالق.

---

(١) البداية والنهاية (٩/٤٩١).

(٢) يقول ابن القيم في النونية عن هذه الصحبة بعد أنْ كادت تزل به القدم:

حتى أتاحَ لي الإلهُ بفضله مَن ليس تجزيه يدي ولساني

فتًى أتى من أرض حَرَّان فيا أهلاً بمن قد جاء من حَرَّان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم حتى أراني مطلع الإيمان

يقول الحافظ ابن حجر عنها: وكُلُّ تصانيفه مرغوبٌ فيها بين الطوائف[١].

وعَقَّبَ الشوكاني على ذلك بقوله: وأظنُّها سَرَتْ إليه بركةُ ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء، والقيام معه في مِحَنِه، ومؤاساته بنفسه، وطول تردده إليه[٢].

وهذا توفيقٌ من الله وسداد، لهذا الإمام الجليل، الذي عاش حياةً مِلْؤُها الإيمان، وقوة الصلة بالخالق الدَّيَّان.

وقد أَحْسَنَ تلميذُه الحافظُ ابنُ رجب في وصف حاله، التي هي نبراسٌ لكل مَنْ رَامَ الهدى ، إذ يقول: كان رحمه الله ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتَأَلُّهٍ ولَهَجٍ بالذكر، وشَغَفٍ بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله، والانكسارِ له، والاطِّراحِ بين يديه على عتبة عبوديته، لم أُشَاهِدْ مثلَه في ذلك، ولا رأيتُ أوسعَ منه علما، ولا أَعْرَفَ بمعاني القرآن السنة وحقائق الإيمان منه. وليس هو المعصوم، ولكنْ لم أَرَ في معناه مثلَه[٣].

رَحِمَه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيحَ جناته، وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني: مكانة ابن القيم النحوية:

من المظاهر البارزة عند جملة من علماء السلف رضوان الله عليهم تلك الموسوعية في تلقي العلم ومدارسته، فتجدُ العالِمَ مبرزًا في أكثر من فنٍّ من فنون العلم، ولكنَّه قد يشتهر بعلم من هذا العلوم فتطغى هذه الشهرةُ على البقية. ولعل

---

(١) الدرر الكامنة (٤/٢٢).

(٢) البدر الطالع (٢/١٤٥).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

هذا ينطبقُ بشكل واضح على ابن القيم رحمه الله، فإمامته في علوم الدين طغت على جوانب أخرى تقدم فيها وحَصَّلَ منها علومًا جمَّة، ومن ذلك علم النحو، الذي كان له فيه باعٌ طويل.

فقد طَلَبَ النحو على شيوخه، وَقَرَأَ فيه أشهرَ كتبه. قال الصفدي: قَرَأَ العربيةَ على أبي الفتح البعلي، قرأ عليه (المُلَخَّص) لأبي البقاء، ثم قرأ (الجرجانية) ثم قرأ (ألفية ابن مالك) وأكثر (الكافية الشافية) وبعض (التسهيل). ثم قَرَأَ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعةً من (المُقَرَّب)[١].

وهذه كتبه: كـ(بدائع الفوائد)[٢] و (التبيان في أقسام القرآن) وغيرها تشهدُ بإمامته في هذا الفن، ولكنَّه لم يفرغ له جهده. يَدُلُّ على ذلك ما وَعَدَ به من تأليف كتاب في (الحكومة بين البصريين والكوفيين فيما اختلفوا فيه، وبيان الراجح من ذلك) [٣]، وما ذكره مترجموه من تأليفه لكتاب (معاني الأدوات والحروف)[٤]، وهذا لا يتأتى إلا لمن تَقَدَّمَ في هذا العلم، وتَمَكَّنَ من أصوله وفروعه. وقد شهد له بذلك أصحابُ التراجم، ومنهم مَنْ هو من تلاميذه، كالحافظ ابن رجب الذي يقول عنه: تفنن في علوم الإسلام... وبالعربية، وله فيها اليدُ الطولى، وعلم الكلام والنحو[٥].

ويقول السيوطي: صار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصول والعربية[٦].

---

(١) الوافي بالوفيات (٢/١٩٥).

(٢) قال عنه السيوطي: (وهو كثير الفوائد، أكثره مسائل نحوية). بغية الوعاة (١/٦٣).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (٣/٢٨).

(٤) انظر: الوافي بالوفيات (٢/١٩٦) وبغية الوعاة (١/٦٣).

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/٤٤٨).

(٦) بغية الوعاة (١/٦٣).

هذه إشارات تقتضيها هذه العجالة ، ومَنْ أرادَ البيانَ الشافي فعليه بما سَطَّره الباحثُ: أيمن الشوا، في كتابه (الإمام ابن قيم الجوزية، وآراؤه النحوية). فقد جَمَعَ فيه كُلَّ ما يتعلق بالدرس النحوي أصوله وفروعه، من كتب ابن القيم كافَّةً، وَرَتَّبها ترتيبًا موضوعيًا، فَقَدَّمَ بذلك خدمةً جليلة للباحثين، فجزاه الله خيرًا.

المبحث الثالث: موقفه من القراءات المتواترة:

ينطلقُ ابن القيم في تعامله مع القرآن – في جانبي الإعراب والتوجيه – من منطلقين رئيسين، يجدرُ الوقوفُ عندهما لتتضحَ معالمُ المنهج المحكم السديد الذي اختطَّه لنفسه، وسار عليه في إعرابه وتوجيهه. أمَّا الأول منهما: فهو أنَّ القرآن ليس كغيره من الكلام، لذا (لا يجوز أنْ يُحْمَلَ كلامُ الله عز وجل، ويُفَسَّرَ بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتملُه تركيبُ الكلام، ويكونُ الكلام به له معنًى ما، فإنَّ هذا مقامٌ غَلِطَ فيه أكثرُ المعربين للقرآن، فإنَّهم يُفَسِّرُون الآية ويعربونها بما يحتملُه تركيب تلك الجملة، ويُفهمُ من ذلك التركيب أيُّ معنًى اتَّفَقَ. وهذا غَلَطٌ عظيم يقطعُ السامعُ بأنَّ مُرَادَ القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر، وكلام آخر، فإنَّه لا يلزم أنْ يحتمله القرآن... بل للقرآن عُرْفٌ خاص، ومعان معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه... فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي والإعرابي)[1].

هذا ما يتعلق بجانب الإعراب، وهو المنطلق الأول، أمَّا الثاني: وهو ما يتعلق بجانب التوجيه – وهو مدار حديثنا – فهو يرى أنَّ القراءات المتواترة جمعاء، هي كلامُ الله، لا يجوزُ بأي حال من الأحوال الطعنُ فيها أو في نقلتها من أئمة القراء،

(١) بدائع الفوائد (٣/٢٧-٢٨).

الذين ثبتت عنهم بالتواتر. وهذا بابٌ زَلَّتْ فيه أقدامُ كثير من النحاة، بسبب مخالفة بعض القراءات ما تعارفوا عليه من قواعد، وأصَّلُوه من قوانين، وهـــذا ولا شـــك مزلقٌ خطير، وَقَفَ منه ابنُ القيم موقفَ العالم السلفي، الذي يعرفُ للقراء قدرهم، وللقراءات قدسيتها، فهو يحتجُ بها لا لها، ويُخْضِعُ قواعدَ النحو لشواهدها، بـــل إنَّ (قواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة منه، مأخوذة من إعرابه وتـــصريفه وهو الشاهد على صحة غيرها مما يحتج له بها. فهو الحجة لها والشاهد. وشـــواهد الإعراب والمعاني منه أقوى وأصح من الشواهد من غيره.

حتى إنَّ فيه من قواعد الإعراب، وقواعد علم المعاني والبيان ما لم تشتمل عليه ضوابطُ النحاة وأهل علم المعاني إلى الآن)[1]. فعليه (لا يجوزُ تحريـــفُ كـــلام الله انتصارًا لقاعدة نحوية، هَدْمُ مائة أمثالها أسهل من تحريف معنى الآيـــة)[2]. وتحتـــدُّ لهجته — رحمه الله — بسبب جرأة النحاة على كلام الله فيقول: (وهذا من النحـــاة شبيهٌ من رَدِّ الجهمية نصوصَ الصفات، لمخالفتها أقيـــستهم، ومـــن رَدِّ أحاديـــث الأحكام عند مخالفتها الرأي. والمقصودُ بالأقيسة والاستنباطات فَهْـــمُ المنقـــول لا تخطئته)[3]. ويُبَيِّنُ موقفه من أئمة هذا الشأن، بقوله: (ومن المصائب تخطئة العرب وأهل المدينة. ونحن إنَّما نجهدُ أنفسنا في استخراج المقاييس؛ لنوافقهم فيما تكلمـــوا به. فإذا كان ما ثَبَتَ عنهم خطأً ولحنًا، وخالفناهم فيه، لم نكن تابعين لهـــم، ولا قاصدين لنهج كلامهم)[4]. وقد سار ابنُ القيم على هذا النهج القويم في قبوله جميع

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٤٧٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/٤٥).

(٣) المصدر السابق (٤/١٨٠).

(٤) المصدر السابق (٤/١٧٩).

القراءات المتواترة، وجعلها حاكمة لا محكومة، في جميع ما عَمَدَ إلى توجيهه، أو بيان الحجة فيه.

المبحث الرابع: الملامح البارزة في توجيهه للقراءات:

لم يكن توجيه القراءات هدفًا قائمًا بذاته عند ابن القيم، و لم تكن همتُه مصروفةً إليه؛ بل كان وسيلةً لفهم آية، أو بيان حكم، أو شرح دليل، أو إزالة إشكال. فهو في توجيهه لم يَسِرْ على وتيرة واحدة، وإنما يتعاطى القراءة بحسب السياق الذي يتحدث فيه.

فكلٌّ قراءة لها منهجها الخاص بها، ولكن يمكن تحديد أُطُرٍ عامة سار عليها ابنُ القيم في تعاطيه لهذه القراءات، وهي على النحو التالي:

١- يُوردُ القراءات في الآية مصرحًا بأسماء قرائها تارةً، ومغفلاً ذلك تارةً أخرى.

٢- يذكرُ في بعض الآيات القراءات الشاذة فيها، مع توجيهها نحويًا[1].

٣- يتوسع في تعليل بعض أوجه القراءات، بما لم تجده في كتب التوجيه المفردة[2].

٤- يُورِدُ الاعتراضات ويرد عليها، بالحجة والدليل[3].

٥- يَرُدُّ على الأقوال الشاذة في معاني القراءات[4].

---

(١) كما في قراءة أبي حيوة بجر (غير). وقراءة الكسر في (شرب).

(٢) وهو أمرٌ ظاهر، بل هو من أبرز مميزات هذه المباحث، ويظهر ذلك في الفقرات التالية: (٢، ٧، ١٢، ١٦، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٧)

(٣) كما في توجيه قراءة الكسائي في الفقرة الثانية.

(٤) كما في قراءة التثقيل في (فتذكر) في الفقرة الأولى.

٦- يحتج بأقوال أهل المعاني في بيان معنى القراءة[١].

٧- يستدل بأقوال النحاة كسيبويه والمبرد والفارسي[٢].

٨- ينقل اختيارات أصحاب التوجيه، ممن اشتهروا في هذا الفن[٣].

٩- يناقش أقوال المعربين ويختار الراجح منها[٤].

١٠- يستشهد بالآيات والأحاديث في معرض الاستدلال[٥].

١١- يورد أقوال المفسرين في معنى الآية للاستدلال والتوضيح[٦].

١٢- يرجح بين القراءتين، معللاً سبب هذا الترجيح[٧].

خطة البحث:

١- جمعتُ أقوالَ ابن القيم في توجيه القراءات مستعيناً في ذلك -بعد الله- بكتابين جامعين: الأول منهما: (**بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية**). وهو مطبوع في خمسة مجلدات. والثاني كتاب (**الإمام ابن قيم الجوزية وآراؤه النحوية**) وهو مطبوع في مجلد واحد. وهذان الكتابان من أجمع ما كُتِبَ عن ابن القيم رحمه الله. فالأول خَدَمَ جانبَ التفسير، والثاني خَدَمَ جانبَ النحو. فجزى اللهُ مؤلفيهما خير الجزاء. وإنْ كان يُؤْخَذُ عليهما إدخال كتاب (الفوائد

(١) انظر الفقرات (٢، ١١، ١٢).

(٢) انظر: الفقرات: (٤، ١٢).

(٣) انظر الفقرات: (١٥، ١٧، ٢٤، ٢٥).

(٤) انظر الفقرات: (٤، ٧، ١٦، ١٧، ٢٦).

(٥) انظر الفقرات: (٢، ٢٢، ٢٦).

(٦) انظر الفقرات: (١٩، ٢٤، ٢٥).

(٧) انظر الفقرات: (٢، ٤، ٧، ٨، ١٢، ١٧، ٢٢، ٢٧).

المشوق إلى علوم القرآن) المنسوب لابن القيم، والذي ثبتت نسبته لابن النقيب، وطُبِعَ بأخرة منسوباً لصاحبه.

٢- رجعت في توثيق أقوال المؤلف إلى كتبه وجعلتُ الإحالة إليها.

٣- اقتصرت في هذا الجمع على القراءات المتواترة، دون غيرها من القراءات الشاذة، التي تعدد ذكرها في كتبه.

٤- رَتَّبْتُ هذه القراءات على نسق كتب التوجيه من حيث السور والآيات.

٥- أُورِدُ بعد ذكر الآية كلام ابن القيم بنصه، دون تدخل مني.

٦- قمت بتوثيق القراءات من أُمَّات كتب هذا الفن، واقتصرت في ذلك على ثلاثة كتب؛ وهي السبعة والتيسير والنشر.

٧- وثَّقْتُ الأقوال التي نقلها المؤلفُ من مصادرها الأصيلة، أو من مصادر مساعدة.

٨- ترجمتُ لبعض الأعلام، وتركت البعض لشهرتهم.

٩- قمت بتوثيق الشواهد الشعرية، مع ضبطها بالشكل.

١٠- قمت بتصحيح ما أراه وهمًا في بعض مطبوعات كتب ابن القيم، أو أشير إلى هذا الوهم.

١١- عملت مقدمة وتمهيدًا صَدَّرْتُ بهما هذا البحث.



بسم الله الرحمن الرحيم

١- قوله تعالى: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قال رحمه الله تعالى[١]: فيها قراءتان: التثقيلُ والتخفيفُ[٢]. والصحيحُ أنَّهما بمعنًى واحد من (الذِّكْر)[٣]. وأَبعَدَ مَنْ قال: فيجعلهما ذكرًا لفظًا ومعنًى[٤]. فإنَّه سبحانه جعل ذلك علَّةً للضلال الذي هو ضد الذِّكر، فإذا ضَلَّتْ أو نَسِيَتْ ذَكَّرَتْها الأخرى فَذَكَرَتْ[٥].

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) الطرق الحكمية (١٤٩-١٥٠).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بإسكان الذال وتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بفتح الذال وتشديد الكاف. وانفرد حمزة برفع الفعل، والباقون على النصب، ولم يتعرض لها المؤلف.
انظر: السبعة (١٩٣) والتيسير (٧١) والنشر (١٧٨/٢).

(٣) قال الفارسي: (فمن قال (فَتُذَكِّر إحداهما الأخرى) كان ممن جعل التعدية بالتضعيف، ومن قال (فَتُذْكِر إحداهما) كان ممن نقل بالهمزة. وكلاهما سائغ) الحجة (٤٣٢/٢). وانظر: علل القراءات (١٠٠/١) والكشف (٣٢١/١)، وشرح الهداية (٢١٢/١).

(٤) وذلك في قراءة التخفيف. ونُسِبَ هذا القول لسفيان بن عيينه في تفسير الطبري (١٦٩/٣) ومعاني القرآن للنحاس (٣١٨/١) والحجة لأبي علي (٤٣٢/٢) وزاد ابنُ زنجلة في حجة القراءات (١٥١) أبا عمرو بن العلاء. وتفرد مكي في الكشف (٣٢١/١) بنسبته للفراء، وما في المعاني (١٨٤/١) يخالف ذلك.
وَعَدَّ الزمخشري في الكشاف (٥١٣/١) هذا القول من بدع التفاسير. وانظر: البحر المحيط (٧٣٣/٢-٧٣٤) والدر المصون (٦٦٣/٢-٦٦٤).

(٥) قال ابن إدريس: (التخفيف في الإذكار أكثر، وفي الموعظة التشديد أشهر). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١٠٢/١).

قال رحمه الله تعالى[١]: اختَلَف المفسرون: هل هو كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ، أو داخلٌ في مضمون هذه الشهادة[٢]، فهو بعضُ المشهود به[٣].

وهذا الاختلاف مبنيٌّ على القراءتين في كسر (إنَّ) وفتحها. فالأكثرون على كسرها على الاستئناف، وَفَتَحَها الكسائيُّ وحدَه[٤].

والوجه هو الكسر؛ لأنَّ الكلام الذي قبله قد تم. فالجملةُ الثانية مُقَرِّرَةٌ مُؤَكِّدَةٌ لمضمون ما قبلها. وهذا أبلغُ في التقرير، وأذهبُ في المدح والثناء[٥].

ولهذا كان كَسْرُ ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦] أحسنَ من الفتح. وكان الكسر في قول الملبي: "لبيك إنَّ الحمدَ والنِّعمةَ لك"[٧] أحسنَ من الفتح[٨].

وقد ذُكِرَ في توجيه قراءة الكسائي ثلاثةُ أوجه:

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٩٤-٤٩٦).

(٢) في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٨٤-٢٨٥).

(٤) انظر: السبعة (٢٠٢) والتيسير (٧٣) والنشر (٢/١٧٩).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٣/٢٢-٢٣) والكشف (١/٣٣٨).

(٦) سورة الطور، آية (٢٨) وهي قراءة السبعة عدا نافع والكسائي.

(٧) جزء من حديث ابن عمر في الصحيحين، البخاري (١٥٤٩) ومسلم (١١٨٤).

(٨) قال ابن حجر: (رُوِيَ بكسر الهمزة على الاستئناف، وبفتحها على التعليل. والكسر أجود عند الجمهور) فتح الباري (٣/٥١٦).

أحدها: أنْ تكونَ الشهادةُ واقعةً على الجملتين، فهي واقعةٌ على (أنَّ[١] الدين عند الله الإسلام) وهو المشهود به. ويكون فتح (أنَّه) من قوله (أنَّه لا إله إلا هو) على إسقاط حرف الجر، أي: بأنَّه لا إله إلا هو. وهذا توجيه الفراء[٢]، وهو ضعيفٌ جدًّا[٣]؛ فإنَّ المعنى على خلافه، وأنَّ المشهود به هو نفسُ قوله (أنَّه لا إله إلا هو)، فالمشهودُ به (أنَّ) وما في حَيِّزِهَا، والعنايةُ إلى هذا صُرِفَتْ، وبه حَصَلَتْ.ولكنْ لهذا القول – مع ضعفه – وَجْهٌ، وهو أنْ يكون المعنى: شَهِد اللهُ بتوحيده أنَّ الدين عند الله الإسلام[٤]. والإسلامُ هو توحيدُه سبحانه. فتضمنت الشهادةُ توحيدَه وتحقيقَ دينه أنَّه الإسلامُ لا غيره.

الوجه الثاني: أنْ تكون الشهادةُ واقعةً على الجملتين معًا، كلاهما مشهودٌ به، على تقدير حذف الواو وإرادتها. والتقدير: وأنَّ الدين عنده الإسلام، فتكون جملةً اسْتُغْنِيَ فيها عن حرف العطف بما تضمنت من ذكر المعطوف عليه[٥]. كما وَقَعَ الاستغناءُ عنها في قوله: ﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فيحسنُ ذكرُ الواو وحذفُها كما حُذِفَتْ هنا، وَذُكِرَتْ في قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[٦].

---

(١) في المطبوع (إنَّ) وما أثبته هو الموافق للسياق.

(٢) في معاني القرآن (١/١٩٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٣/٨٥-٨٦).

(٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن في الموضع السابق.

(٥) ذكر هذا القول الطبري في تفسيره (٣/٢٨٤-٢٨٥) ونسبه النحاس في معاني القرآن (١/٣٧٠) للكسائي. وانظر: البحر المحيط (٣/٦٨) والدر المصون (٣/٨٥).

(٦) سورة الكهف، آية: (٢٢).

الوجه الثالث: – وهو مذهبُ البصريين– أنْ يجعل (أنَّ) الثانية بدلاً من الأولى، التقدير: شَهِدَ اللهُ أنَّ الدين عند الله الإسلام، وقولُه (أنَّه لا إله إلا هو) توطئةٌ للثانية وتمهيد. ويكون هذا من البدل الذي الثاني فيه نفس الأول، فإنَّ الدينَ الذي هو نفسُ الإسلام عند الله هو شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، والقيامُ بحقها. ولك أنْ تجعله على هذا الوجه من باب بدل الاشتمال؛ لأنَّ الإسلام يشتملُ على التوحيد[١].

فإنْ قيل: فكان ينبغي على هذه القراءة أنْ يقول: إنَّ الدين عنده الإسلام[٢]؛ لأنَّ المعنى: شَهِدَ اللهُ أنَّ الدين عنده الإسلام. فَلِمَ عَدَلَ إلى لفظ الظاهر؟ قيل: هذا يُرَجِّحُ قراءةَ الجمهور، وأنَّها أفصحُ وأحسنُ.

ولكنْ يجوزُ إقامةُ الظاهر مُقَامَ المضمر، وقد وَرَدَ في القرآن وكلام العرب كثيرًا[٣]. فإنَّ الله تعالى قال: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾[٤]، وقال: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾[٥] وقال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ**﴾[٦].

٣– قوله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ**﴾ [النساء: ٢٩].

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي (٢٣/٣) والكشف (٣٣٨/١) والبيان في غريب إعراب القرآن (١٩٥/١) والموضح (٣٦٤/١).

(٢) في المطبوع: إنَّ الدين عند الله الإسلام. وهو خلاف المقصود. وما أثبته هو الموافق للسياق.

(٣) انظر: أمالي ابن الحاجب (١٥٢/١–١٥٣).

(٤) سورة البقرة، آية: (١٩٦).

(٥) سورة الأنفال، آية: (٦٩).

(٦) سورة الأعراف، آية: (١٧٠).

قال رحمه الله تعالى[١]: قُرِئَ برفع التجارة ونصبها[٢]. فالرفع على التمام[٣]، والنصبُ على أنَّها خبرُ (كان) الناقصة. وفي اسمها على هذا وجهان:

أحدهما: التقدير: إلا أنْ يكونَ سببُ الأكل أو المعاملة تجارةً.

والثاني: إلا أنْ تكونَ أموالُ الناس تجارةً[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

قال رحمه الله تعالى[٥]: اختَلَف القراءُ في إعراب (غير)، فَقُرِئَ رفعًا ونصبًا، وهما في السبعة[٦].

وَقُرِئَ بالجر في غير السبعة[٧]، وهي قراءةُ أبي حَيْوَة[٨].

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٧٣).

(٢) قرأ أهل الكوفة بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
انظر: السبعة (٢٣١) والتيسير (٧٩) والنشر (٢/١٨٧).

(٣) أي أنْ تكون (كان) تامة، بمعنى: وقع أو حدث، وهي المستغنية بمرفوعها. انظر: الكتاب (١/٤٦) والمقتضب (٤/٩٥) والتبصرة والتذكرة (١/١٩١) وشرح المفصل (٧/٩٧-٩٨).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي (٣/١٥٢) والكشف (١/٣٨٦) والموضح (١/٤١٣).

(٥) طريق الهجرتين (٣٣٣-٣٣٤).

(٦) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.
انظر: السبعة (٢٣٧) والتيسير (٨١) والنشر (٢/١٨٩).

(٧) وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (١/٤٨٣) ومشكل إعراب القرآن (١/٢٠٦) والبحر المحيط (٤/٣٥).

(٨) شريح بن يزيد الحضرمي الحمصي، صاحب القراءة الشاذة ومقرئ الشام. روى القراءة عن الكسائي وغيره. توفي سنة (٢٠٣)هـ. غاية النهاية (١/٣٢٥).

فأمَّا قراءةُ النصب فعلى الاستثناء؛ لأنَّ (غيرًا) يُعْرَبُ في الاستثناء إعراب الاسم الواقعِ بعد (إلا) وهو النصب. هذا هو الصحيح[١].

وقالت طائفةٌ: إعرابُها نصبٌ على الحال[٢]. أي: لا يستوي القاعدون غيرَ مضرورين، أي لا يستوون في حال صحتهم هم والمجاهدون[٣]. والاستثناءُ أصحُّ؛ فإنَّ (غيرًا) لا تكادُ تقعُ حالاً في كلامهم إلا مضافة إلى نكرة[٤]، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ﴾[٥] وقوله عز وجل: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾[٦] وقوله ﷺ: "مرحبًا بالوفد غيرَ خزايا ولا ندامى"[٧].

فإنْ أُضيفت إلى معرفة كانت تابعةً لما قبلها، كقوله تعالى ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠٨/٤) والكشف (٣٩٦/١).

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢٧٨/٢) ومغني اللبيب (٢١١) وهمع الهوامع (٢٧٨/٣) التصريح(٥٧٧/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٩٣/٢) وإعراب القرآن للنحاس (٤٨٣/١) وعلل القراءات (١٥٣/١) وحجة القراءات (٢١١) وشرح الهداية (٢٥٦/٢).

(٤) انظر: الأزهية (١٨٠).

(٥) سورة البقرة، آية: (١٧٣) وغيرها.

(٦) سورة المائدة، آية: (١).

(٧) جزء من حديث في صحيح البخاري (٥٣).

(٨) سورة الفاتحة، آية: (٧).

ولو قلت: مرحبًا بالوفد غيرِ الخزايا ولا الندامى؛ لجررتَ (غير). هـذا هـو المعروف من كلامهم[١].

والكلام في عدم تعريف (غير) بالإضافة، وحسن وقوعها إذ ذاك حالاً له مقامٌ آخر[٢].

وأما الرفعُ فعلى النعت للقاعدين. هذا هو الصحيح[٣]. وقال أبو إسحاق[٤] وغيرُه: هو خبرُ مبتدأ محذوف، تقديره: الذين هم غيرُ أولي الضرر[٥].

والذي حَمَلَه على هذا ظَنُّهُ أنَّ (غيرًا) لا تقبلُ التعريف بالإضافة، فلا تجـري صفةً للمعرفة[٦]. وليس مع مَن ادَّعَى ذلك حجةٌ يعتمدُ عليها، سـوى أنَّ (غـيرًا) تَوَغَّلَتْ في الإبهام، فلا تتعرفُ بما يُضَافُ إليه[٧].

وجوابُ هذا أنَّها إذا دَخَلَتْ بين متقابلين لم يكن فيها إبهامٌ لتعيينها ما تُضَافُ إليه[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٧/١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/٢٤-٢٨).

(٣) انظر: علل القراءات (١/١٥٣) والحجة لأبي علي (٣/١٧٩) والكشف (١/٣٩٦) وشـرح الهدايـة (٢/٢٥٦) والموضح (١/٤٢٦).

(٤) الزجاج.

(٥) انظر: معاني القرآن (٢/٩٢).

(٦) قال سيبويه: (وغير) أيضًا ليس باسم متمكن، ألا ترى أنَّها لا تكـون إلا نكـرة، ولا تُجمـع، ولا تدخلها الألف واللام). الكتاب (٣/٤٧٩). وانظر: شرح الكافية (٢/٢١٠-٢١١) وشرح التسهيل لابن مالك (٣/٢٢٧).

(٧) انظر: مغني اللبيب (٢١٠).

(٨) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٣/٢٢٦-٢٢٧) ومغني اللبيب (٢١٠) والتصريح (٢/٥٧٦).

وأمَّا قراءةُ الجر ففيها وجهان أيضًا: أحدهما: - وهو الصحيح- أنَّه نعتٌ للمؤمنين[١]. والثاني: - وهو قول المبرد — أنه بدلٌ منه، بناءً على أنَّه نكرةٌ فلا تُنْعَتُ به المعرفة[٢].

وعلى الأقوال كُلِّها فهو مفهوم[٣] معنى الاستثناء، وإنَّ نفيَ التسوية غيرُ مُسَلَّطٍ على ما أُضيفَ إليه غيره، وقوله ﴿ **فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ ......عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً** ﴾[٤] هو مُبَيِّنٌ لمعنى نَفْيِ المساواة. قالوا: والمعنى: فَضَّلَ اللهُ المجاهدَ على القاعد من أولي الضَّررِ درجةً واحدةً؛ لامتيازه عنه بالجهاد بنفسه وماله.

٥- قوله تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام : ٩١].

قال رحمه الله تعالى[٥]: مَنْ قَرَأَهَا بالياء[٦] فهو إخبارٌ عن اليهود بلفظ الغَيبة. ومَنْ قَرأَهَا بتاءٍ للخطاب[٧]، فهو خطابٌ لهذا الجنس الذي فعلوا

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٨٤/١) ومعاني القرآن للزجاج (٩٣/٢) وإعراب القراءات الشواذ (٤٠٤/١).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٨٣/١).

(٣) كذا في المطبوع. ولعل الصواب (مُفْهِمٌ).

(٤) من الآية نفسها.

(٥) هداية الحيارى (٢٥١).

(٦) في الأفعال الثلاثة. وهما ابن كثير وأبو عمرو. انظر: السبعة (٢٦٢-٢٦٣) والتيسير (٨٦) والنشر (١٩٥/٢).

(٧) وهم بقية السبعة. انظر المصادر السابقة.

ذلك[١]، أي: تجعلونه يا مَنْ أُنْزِلَ عليه كذلك[٢]. وهذا من أعلام نبوته أنْ يُخْبِرَ أهلَ الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم، وأنَّهم جعلوه قراطيسَ وأَبْدَوا بعضَه وأَخْفَوا كثيرًا منه. وهذا لا يُعْلَمُ من غير جهتهم إلاَّ بوحي من الله.

٦- قوله تعالى: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾

[الأنفال: ٩].

قال رحمه الله تعالى[٣]: قُرِئَ بكسر الدال وفتحها[٤]. فقيل: المعنى إنَّهم رِدْفٌ لكم. وقيل: يُرْدِفُ بعضُهم بعضًا أرسالاً لم يأتوا دَفْعَةً واحدة[٥].

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١].

قال رحمه الله تعالى[٦]: وقيل: إنَّ من هذا[٧] قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ

---

(١) قال ابن الجوزي: (والمعنى: تبدون منها ما تحبون وتخفون كثيراً، مثل صفة محمد ﷺ، وآية الرجم ونحو ذلك مما كتموه). زاد المسير (٨٤/٣). وانظر: تفسير الطبري (٣٥٠/٥-٣٥١).

(٢) انظر الحجة لأبي علي (٣٥٥/٣) والكشف (٤٤٠/١) والموضح (٤٨٥/١-٤٨٦).

(٣) زاد المعاد (١٧٦/٣-١٧٧).

(٤) قرأ نافع بفتح الدال، وقرأ الباقون بكسرها.
انظر: السبعة (٣٠٤) والتيسير (٩٥) والنشر (٢٠٧/٢).

(٥) القول الأول على قراءة الفتح، والقول الثاني على قراءة الكسر.
انظر: الحجة لأبي علي (١٢٤/٤-١٢٥) وحجة القراءات (٣٠٧-٣٠٨) وشرح الهداية (٣٢١/٢).

(٦) بدائع الفوائد (٦٥/٣-٦٦).

(٧) أي: الاستثناء المنقطع.

بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ في قراءة الرفع[١]. ويكونُ (امرأتك) مبتدأ، وخبرُه ما بعده[٢]. وهذا التوجيه أولى من أنْ يُجْعَلَ الاستثناءُ في قراءة مَنْ نَصَبَ من قوله ا ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾، وفي قراءة مَنْ رَفَعَ من قوله ا ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾[٣] رفعًا ونصبًا[٤]. وإنَّما قلنا إنَّه أولى؛ لأنَّ المعنى عليه، فإنَّ الله تعالى أَمَرَه أنْ يَسْرِيَ بأهله إلا امرأته. ولو كان الاستثناءُ من الالتفات لكان قد نَهَى المُسْرَى بهم عن الالتفات وأَذِنَ فيه لامرأته[٥]. وهذا ممتنعٌ لوجهين: أحدهما: أنَّه لم يَأْمُرْه أنْ يسريَ بامرأته، ولا دَخَلَتْ في أهله الذين وُعِدَ بنجاتهم.

والثاني: أنَّه لم يُكَلِّفْهم بعدم الالتفات ويَأْذَنَ فيه للمرأة.

---

(١) في قوله (امرأتك) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالنصب. انظر: السبعة (٣٣٨) والتيسير (١٠٢) والنشر (٢/٢١٨)

(٢) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢/٢٦٦-٢٦٧) وشواهد التوضيح والتصحيح (٤٢) ومغني اللبيب (٧٧٩-٧٨٠).

(٣) وهو قول غالب أهل التوجيه. انظر: معاني القرآن للزجاج (٣/٦٩-٧٠) وإعراب القرآن للنحاس (٢/٢٩٦-٢٩٧) والحجة لأبي علي (٤/٣٧١) وحجة القراءات (٣٤٧-٣٤٨) والكشف (١/٥٣٦) وشرح الهداية (٢/٣٥٢-٣٥٣) والكشاف (٣/٢٢) والموضح (٢/٦٥٦).

(٤) وهو اختيار ابن مالك في شرح التسهيل (٢/٢٢٦-٢٦٧) وابن هشام في مغني اللبيب (٧٨٠).

(٥) وبهذا اعترض أبو عبيد على قراءة الرفع. انظر: مشكل إعراب القرآن (١/٣٧١-٣٧٢) والمحرر الوجيز (٣/١٩٦) والبيان في غريب إعراب القرآن (٢/٢٦).

٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

قال رحمه الله تعالى[١]: قال تعالى حاكيًا عن موسى أنَّه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ أي: هالكًا[٢]، على قراءة مَنْ فَتَح التاءَ[٣]، وهي قراءةُ الجمهور. وَضَمَّهَا الكسائيُّ وحدَه[٤].

وقراءةُ الجمهور أحسنُ وأوضحُ وأفخمُ معنًى، وبها تقومُ الدلالةُ ويتمُّ الإلزامُ بتحقق كُفْرِ فرعون وعنادِه[٥]. ويشهدُ لها قولُه تعالى إخبارًا عنه وعن قومه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٦].

(١) مفتاح دار السعادة (١/٩٠-٩١).

(٢) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٢٠٣).

(٣) في قوله (علمت).

(٤) انظر: السبعة (٣٨٥-٣٨٦) والتيسير (١١٥) والنشر (٢/٢٣٢).

(٥) قال ابن إدريس: (فضمُّ التاء إخبارٌ من موسى عليه السلام عن نفسه أنَّه عَلِمَ ذلك. وفتحها إعلامٌ من موسى لفرعون أنَّه عَلِمَ بذلك ولكنَّه عاند، فكانت الحجة عليه أعظم، لأنَّه خالف مع العلم). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١/٤٠٤).

(٦) سورة النمل، الآيتان: (١٣، ١٤).

فأخبر سبحانه أنَّ تكذيبهم وكفرهم كان عن يقين — وهو أقوى العلم[١]- ظُلْمًا منهم وعُلُوًّا لا جهلاً[٢].

٩- قوله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج: ٢٣].

قال رحمه الله تعالى[٣]: اختلفوا في جَرِّ (لؤلؤ) ونصبه[٤]. فَمَنْ نَصَبَه ففيه وجهان: أحدهما: أنَّه عَطْفٌ على موضع قوله (مِنْ أَسَاوِرَ).

والثاني: أنَّه منصوبٌ بفعل محذوف دَلَّ عليه الأول. أي: وَيُحَلَّونَ لؤلؤا.

وَمَنْ جَرَّه فهو عطفٌ على الذَّهَب. ثم يحتملُ أمرين: أحدهما: أنْ يكونَ لهم أَسَاوِرُ من ذهب وأَسَاوِرُ من لؤلؤ. ويحتملُ أنْ تكونَ الأَسَاوِرُ مُرَكَّبَةً من الأَمرين معًا، الذهبُ المُرَصَّعُ باللؤلؤ[٥]. واللهُ أعلمُ بما أراد.

١٠- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

قال رحمه الله تعالى[٦]: قول الله تعالى ذكره ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: لسان العرب (يقن).

(٢) انظر: حجة القراءات (٤١١) والكشف (٥٢/٢) وشرح الهداية (٣٩٢/٢) والموضح (٧٦٩/٢-٧٧٠).

(٣) حادي الأرواح (٢٤٣).

(٤) قرأ نافع وعاصم بالنصب، وقرأ الباقون بالجر.
انظر: السبعة (٤٣٥) والتيسير (١٢٧) والنشر (٢٤٤/٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤١٩/٣-٤٢٠) وحجة القراءات (٤٧٤) والبحر المحيط (٤٩٧/٧) والدرر المصون (٢٥٣/٨-٢٥٤).

(٦) الوابل الصيب (٩٦).

ءَامَنُوٓاْۗ﴾ وفي القراءة الأخرى (إنَّ الله يَدْفَعُ)[1]. فَدَفْعُهُ وَدِفَاعُه[2] عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله. ومادةُ الإيمان وقوتُه بذكر الله تعالى. فَمَنْ كان أكملَ إيمانًا وأكثرَ ذِكْرًا كان دَفْعُ الله تعالى عنه ودفاعُه أعظم. وَمَنْ نَقَصَ نَقَص، ذِكْرًا بِذِكْرٍ وَنِسْيَانًا بِنِسْيَان.

١١ – قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الفرقان: ١٨]

قال رحمه الله تعالى[3]: وفيها قراءتان أشهرهما: (نَتَّخِذَ) بفتح النون وكسر الخاء، على البناء للفاعل، وهي قراءةُ السبعة.

والثانية: (نُتَّخَذَ) بضم النون وفتح الخاء، على البناء للمفعول وهي قراءةُ الحسن[4] ويزيد بن القعقاع[5].

وعلى كُلِّ واحدة من القراءتين إشكال: فأمَّا قراءةُ الجمهور، فإنَّ الله سبحانه إنَّما سَأَلَهم: هل أَضَلُّوا المشركين بأمرهم إياهم بعبادتهم، أم هم ضَلُّوا السبيل باختيارهم وأهوائهم؟ وكيف يكونُ هذا الجوابُ مطابقًا للسؤال؟ فإنَّه لم يسألهم: هل اتخذتم من دوني أولياء، حتى يقولوا: ﴿ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يدفع) من غير ألف. وقرأ الباقون (يدافع) بألف. انظر: السبعة (٤٣٧) والتيسير (١٢٨) والنشر (٢/٢٤٥).

(٢) قال ابن إدريس: (فإسقاطُ الألف من (دَفَعَ يَدْفَعُ)، وإثباتها من (دَافَعَ يُدَافِعُ دِفَاعًا)). المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٢/٤٨١).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/٢٤٠-٢٤٢).

(٤) البصري.

(٥) أبو جعفر أحد القراء العشرة، انظر: النشر (٢/٢٥٠) والإتحاف (٢/٣٠٦).

﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، وإنَّما سألهم: هل أَمَرْتُم عبادي هؤلاء بالشرك، أم هم أَشْرَكُوا من قِبَلِ أنفسهم؟ فالجوابُ المطابقُ أنْ يقولوا: لم نَأْمُرْهم بالشرك، وإنَّما هم آثروه وارتضوه أو لم نأْمُرْهم بعبادتنا، كما قال في الآية الأخرى عنها: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[1].

فلمَّا رأى أصحابُ القراءة الأخرى ذلك فَرُّوا إلى بناء الفعل للمفعول. وقالوا: الجوابُ يَصِحُّ على ذلك ويطابق، إذ المعنى : ليس يَصْلُحُ لنا أنْ نُعْبَدَ ونُتَّخَذَ آلهةً فكيف نَأْمُرُهم بما لا يصلحُ لنا، ولا يحسنُ منَّا؟ ولكنْ لَزِمَ هؤلاء من الأشكال أمرٌ آخر، وهو قولُه: ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، فإنَّ زيادة "مِنْ" لا يحسنُ إلا مع قصد العموم[2]، كما تقول: ما قامَ مِنْ رجلٍ، وما ضربتُ مِنْ رجلٍ. فأمَّا إذا كان النفيُ واردًا على شيء مخصوص، فإنه لا يحسنُ زيادةُ "مِنْ" فيه، وهم إنَّما نَفَوا عن أنفسهم ما نُسِبَ إليهم من دعوى المشركين أنَّهم أَمَرُوهم بالشرك، فَنَفَوا عن أنفسهم ذلك بأنَّه لا تحسنُ منهم، ولا يليقُ بهم أنْ يُعْبَدُوا، فكيف ندعو عبادَك إلى أنْ يعبدونا؟ فكان الجوابُ على هذا: أنْ تُقْرَأَ: ما كان ينبغي لنا أنْ نُتَّخَذَ أولياءَ من دونك، أو من دونك أولياء[3].

فأجابَ أصحابُ القراءة الأولى بوجوه:

أحدها: أنَّ المعنى: ما كان ينبغي لنا أنْ نعبدَ غيرَك، ونتخذَ غيرَك وليًّا ومعبودًا.

---

(١) سورة القصص، آية: (٦٣).

(٢) انظر: الجنى الداني (٣١٦) ومغني اللبيب (٤٢٥).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١٥٤-١٥٥) وتفسير القرطبي (١٣/١٥).

فكيف ندعو أحدًا إلى عبادتنا؟ أي إذا كانوا لا يرون لأنفسهم عبادةَ غير الله تعالى، فكيف يدعون غيرَهم إلى عبادتهم؟ وهذا جوابُ الفراء[١].

وقال الجرجاني: هذا بالتدريج يصير جوابًا للسؤال الظاهر، وهو أنَّ مَنْ عَبَدَ شيئًا فقد تَوَلَّاه، وإذا تَوَلَّاه العابدُ صار المعبودُ وليًّا للعابد. يَدُلُّ على هذا قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾[٢] فَدَلَّ على أنَّ العابد يصيرُ وليًّا للمعبود.ويصيرُ المعنى كأنَّهم قالوا: ما كان ينبغي لنا أنْ نَأْمُرَ غيرَنا باتخاذنا أولياءَ، وأنْ نتخذ من دونك وليًّا يعبدُنا. وهذا بسطٌ لقول ابن عباس في هذه الآية. قال: يقولون: ما تَوَلَّيْنَاهم، ولا أَحْبَبْنَا عبادتَهم. قال: ويحتملُ أنْ يكونَ قولُهم: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أنْ يُريدُوا مَعْشَرَ العبيد، لا أنفسَهم. أي نحن وهم عبيدُك، ولا ينبغي لعبيدك أنْ يتخذوا من دونك أولياء. ولكنَّهم أضافوا ذلك إلى أنفسهم تواضعًا منهم. كما يقولُ الرجلُ لِمَنْ أتى منكرًا: ما كان ينبغي لي أنْ أَفْعَلَ مثلَ هذا، أي أنت مثلي عبدٌ مُحَاسَبٌ، فإذا لم يَحْسُنْ من مثلي أنْ يفعلَ هذا لم يَحْسُنْ منك أيضًا.

قال: ولهذا الإشكال قَرَأَ مَنْ قَرَأَ: (نُتَّخَذَ) بضم النون. وهذه القراءةُ أقربُ في التأويل[٣]. لكنْ قال الزجاج[٤]: هذه القراءةُ خَطَأٌ، لأنَّك تقولُ: ما

(١) في معاني القرآن (٢/٢٦٤).

(٢) سورة سبأ، الآيتان (٤٠، ٤١).

(٣) لم أقف على هذا النص للجرجاني ولا على قول ابن عباس رضي الله عنهما فيما لدي من مصادر.

(٤) في معاني القرآن (٤/٦٠-٦١).

اتَّخَذْتُ مِنْ أحد وليًّا، ولا يجوزُ: ما اتَّخّذْتُ أحدًا مِنْ ولي، لأنَّ "مِنْ" إنَّمَا دَخَلَتْ لأنَّها تنفي واحدًا من معنى جميع. تقول: ما مِنْ أحد قائمًا، وما مِنْ رجل محبًّا لما يَضُرُّه، ولا يجوزُ: ما رجلٌ مِنْ محب لِمَا يضرُّه. قال: ولا وجَه عندنا لهذا البَتَّةَ، ولو جازَ هذا لجَازَ في: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[1] ما أحدٌ عنه مِنْ حاجزين. فلو لم تدخل "مِنْ" لصحت هذه القراءة.

قال صاحبُ النظم: العلةُ في سقوط هذه القراءة: أنَّ "مِنْ" لا تدخلُ إلا على مفعول لا مفعولَ دونَه، فإذا كان قبلَ المفعول مفعولٌ لم يَحْسُنْ دخولُ "مِنْ"، كقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ ﴾[2] فقوله: ﴿ مِن وَلَدٍ ﴾ لا مفعول دونه سواه، ولو قال: ما كان لله أنْ يَتَّخِذَ أحدًا من ولد، لم يَحْسُنْ فيه دخولُ "مِنْ" لأنَّ فعل الاتخاذ مشغولٌ بأحد. وَصَحَّحَ آخرون هذه القراءةَ لفظًا ومعنًى، وأَجْرَوها على قواعد العربية. قالوا: وقد قَرَأَ بها مَنْ لا يُرْتَابُ في فصاحته، فَقَرَأَ بها زيدُ بن ثابت، وأبو الدرداء، وأبو جعفر، ومجاهد، ونَصْر بن علقمة، ومكحول، وزيد بن علي، وأبو رجاء، والحسن، وحَفْص بن حميد، ومحمد بن علي، على خلاف عن بعض هؤلاء. ذكر ذلك أبو الفتح ابنُ جني[3]. ثم وَجَّهَهَا بأنْ يكون "مِنْ أولياء" في موضع الحال، أي ما كان ينبغي لنا أنْ نَتَّخِذَ مِنْ دونك أولياء. ودخلت "مِنْ" زائدةً لمكان النفي. كقولك: اتَّخَذْتُ زيدًا وكيلاً، فإذا نفيتَ قلتَ: ما اتَّخّذْتُ زيدًا مِنْ وكيل. وكذلك: أعطيتُه درهمًا. وما أعطيتُه مِنْ درهم.

---

(١) سورة الحاقة، آية: (٤٧).

(٢) سورة مريم، آية: (٣٥).

(٣) في المحتسب (١١٩/٢-١٢٠). وانظر: زاد المسير (٧٨/٦) والبحر المحيط (٩٢/٨).

وهذا في المفعول فيه. قلتُ: يعني أنَّ زيادتَها مع الحال، كزيادتها مع المفعول[١].

ونظيرُ ذلك أنْ تقولَ: ما ينبغي لي أنْ أخدمك متثاقلاً، فإذا أكَّدْتَ، قلتَ: مِنْ متثاقل. فإنْ قيل: فقد صَحَّت القراءتان لفظًا ومعنًى، فأيُّهما أحسن؟.

قلتُ: قراءةُ الجمهور أحسنُ وأبلغُ في المعنى المقصود، والبراءةُ مما لا يليقُ بهم، فإنَّهم على قراءة الضَّمِّ: يكونون قد نَفَوا حُسْنَ اتخاذ المشركين لهم أولياء، وعلى قراءة الجمهور: يكونون قد أخبروا أنَّهم لا يليقُ بهم، ولا يحسنُ منهم أنْ يتخذوا وليًا من دونه، بل أنت وحدَك وَلِيُّنا ومعبوُدنا، فإذا لم يَحْسُنْ بنا أنْ نُشْرِكَ بك شيئًا، فكيف يليقُ بنا أنْ نَدْعُوَ عبادَك إلى أنْ يعبدونا من دونك؟ وهذا المعنى أَجَلُّ من الأول وأكبرُ، فتأمله[٢].

والمقصود: أنَّه على القراءتين: فهذا الجوابُ من الملائكة، وَمَنْ عُبِدَ من دون الله من أوليائه، وأمَّا كونُه من الأصنام فليس بظاهر.

١٢- قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٠].

قال رحمه الله تعالى[٣]: وأمَّا قولُه ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ فهذه فيها قراءتان: إحداهما: (إلياسين) بوزن (إسماعيل)[٤]، وفيها وجهان: أحدهما: أنَّه اسمٌ ثانٍ للنبي (إلياس و إلياسين) كميكال وميكائيل.

والوجه الثاني: أنَّه جمعٌ، وفيه وجهان: أحدهما: أنَّه جمعُ (إلياس)، وأصلُه:

---

(١) انظر: شرح التسهيل لابن مالك (١٣٩/٣-١٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٢/١٠).

(٣) جلاء الأفهام (١٦٢-١٦٣).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي.
انظر: السبعة (٥٤٩) والتيسير (١٥١) والنشر (٢٦٩/٢).

(إلياسيين) بياءين، كعبرانيين، ثُمَّ خُفِّفَتْ إحدى الياءين فقيل: إلياسين. والمرادُ أتباعُه، كما حكى سيبويه[(١)]: الأشعرون، ومثله: الأعجمون. والثاني: أنَّه جمعُ (إلياس) محذوف الياء.

والقراءةُ الثانية: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ﴾[(٢)] وفيه أوجه:

أحدها: أنَّ (ياسين) اسمٌ لأبيه، فَأُضِيفَ إليه الآل. كما يُقَالُ: آلُ إبراهيم. والثاني: أنَّ (آل ياسين) هو إلياسُ نفسُه، فيكونُ (آل) مضافة إلى (ياسين). والمرادُ بالآل (ياسين) نفسه، كما ذَكَرَ الأَوَّلُون. والثالث: أنَّه على حذف ياء النسب فَيُقَالُ: (ياسين) وأصله: ياسيين، كما تقدم. وآلُهم أتباعُهم على دينهم. والرابع: أنَّ (ياسين) هو القرآن، وآلُه هم أهلُ القرآن. والخامس: أنَّه النبي ﷺ، وآلُه أقاربُه وأتباعه، كما سيأتي[(٣)].

وهذه الأقوالُ كُلُّها ضعيفة، والذي حَمَلَ قائلها عليها استشكالهم إضافة (آل) إلى (ياسين)، واسمُه: إلياس وإلياسين. ورأوها في المصحف مفصولة[(٤)]. وقد قَرَأَها بعضُ القراء: (الياسين)[(٥)] فقال طائفةٌ منهم: له أسماء: ياسين، وإلياسين، وإلياس.

---

(١) في الكتاب (٣/٤١٠).

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر. انظر: مصادر القراءة السابقة.

(٣) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري (١٢/١١٤-١١٥) وزاد المسير (٧/٨٢-٨٤) وتفسير القرطبي (١٥/١١٥-١١٧) والبحر المحيط (٩/١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر: النشر (٢/٢٦٩).

(٥) بألف الوصل، وهي قراءة شاذة. انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/٤٣٦) والمحتسب (٢/٢٢٣) والبحر المحيط (٣/١٢٣).

وقالت طائفةٌ: (ياسين) اسمٌ لغيره، ثُمَّ اختلفوا، فقال الكلبيُّ[١]: (ياسين) محمدٌ ﷺ[٢]. وقالت طائفةٌ: هو القرآن. وهذا كُلُّه تعسفٌ ظاهرٌ لا حاجة إليه. والصوابُ –والله أعلم– في ذلك أنَّ أصلَ الكلمة (آل إلياسين)، كآل إبراهيم، فَحُذِفَت الألفُ واللامُ من أَوَّله لاجتماع الأمثال، ودلالة الاسم على موضع المحذوف. وهذا كثيرٌ في كلامهم، إذ اجتمعت الأمثالُ كَرِهُوا النّطْقَ بها كُلِّها، فَحَذَفُوا منها ما لا إلباسَ في حذفه. وإنْ كانوا لا يحذفونه في موضع لا تجتمعُ فيه الأمثالُ، ولهذا لا يحذفون النونَ من (إنِّي وأنِّي وكأنِّي ولكنِّي). ولا يحذفونها من (ليتني). ولَمَّا كانت اللامُ في (لعل) شبيهةً بالنون حذفوا النونَ معها. ولا سِيَّمَا عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له. فيقولون مرةً: (إلياسين)، ومرةً: (ياسين). وَرُبَّما قالوا: (ياس) [٣]، ويكون على إحدى القراءتين قد وَقَعَ السلامُ عليه، وعلى القراءة الأخرى على آله.

١٣– قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال رحمه الله تعالى[٤]: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ وفي القراءة الأخرى (عِبَادَهُ)[٥] وهما سواء؛ لأنَّ المفردَ مضافٌ، فَيَعُمُّ عمومَ الجمع[٦].

---

(١) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر. الأخباري المفسر. توفي بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة. وفيات الأعيان (١٢٦/٤) وسير أعلام النبلاء (٢٤٨/٦).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣٩٢/٢).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٣٧/٣-٤٣٨).

(٤) الوابل الصيب (١١).

(٥) قرأ حمزة والكسائي بالجمع، وقرأ الباقون بالإفراد.
انظر: السبعة (٥٦٢) والتيسير (١٥٣) والنشر (٢٧١/٢).

(٦) قال الزمخشري (ويجوز أنْ يريد (العبد والعباد) على الإطلاق؛ لأنَّه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم). الكشاف (٣٠٦/٥). وانظر: الموضح (١١١٣/٣).

١٤- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال رحمه الله تعالى[١]: قرأ أهلُ الكوفة على البناء للمفعول، حملاً على (زُيِّنَ). وقرأ الباقون (وَصَدَّ) بفتح الصاد[٢]، ويحتملُ وجهين : أحدهما: أَعْرَضَ، فيكون لازمًا. والثاني: صَدَّ غيره، فيكون متعدياً. والقراءتان كالآيتين لا يتناقضان[٣].

١٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور :٢٨].

قال رحمه الله تعالى[٤]: كَسْرُ (إنَّ) وَفَتْحُها[٥]. فَمَنْ فَتَح كان المعنى: نَدْعُوهُ لأنَّه هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ. وَمَنْ كَسَرَ كان الكلامُ من جملتين: إحداهما قوله (نَدْعُوْهُ)، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فقال: (إنَّه هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ). قال أبو عبيد: والكسرُ أحسنُ، وَرَجَّحَه بما ذكرناه[٦].

---

(١) شفاء العليل (٩٦).

(٢) انظر: السبعة (٥٧١) والتيسير (١٠٨) والنشر (٢/٢٢٣).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي (٦/١١١-١١٢) والمختار في معاني قراءات أهل الأمصار (١/٣٦٠-٣٦١).

(٤) تهذيب مختصر سنن أبي داود (٢/٣٣٨).

(٥) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: السبعة (٦١٣) والتيسير (١٦٥) والنشر (٢/٢٨٢).

(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/٢٥٨) وحجة القراءات (٦٨٣-٦٨٤) والمختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٢/٧٠٧).

١٦- **قوله تعالى:** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم :١١].

قال رحمه الله تعالى[(١)]: فيها قراءتان: إحداهما بتخفيف (كَـذَبَ)، والثانية بتشديدها[(٢)]. يُقَالُ: كَذَبَتْه عينُه، وكَذَبَه قلبُه، وكَذَبَه حَدْسُه، إذا أَخْلَفَ ما ظَنَّه وحَدَسَه[(٣)]، قال الشاعر[(٤)]:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رَأَيتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبَابِ خَيَالا

أي: أَرَتْكَ ما لا حقيقةَ له[(٥)]. فَنَفَى هذا عن رسوله، وأَخْبَرَه أنَّ فُؤَادَه لم يَكْذِبْ ما رآه. و (ما) إمَّا أنْ تكونَ مصدريةً، فيكون المعنى: ما كَذَبَ فُؤَادُه رُؤْيَتَه. وإمَّا أنْ تكون موصولةً، فيكون المعنى: ما كَذَبَ الفُؤَادُ الذي رآه بعينه[(٦)].

وعلى التقديرين فهو إخبارٌ عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر وتوافقهما، وتصديق كل منهم لصاحبه. وهذا ظاهرٌ جدًّا في قراءة التشديد. وقد اسْتَشْكَلَها طائفةٌ منهم المبردُ،، وقال: في هذه القراءة بُعْد[(٧)]، قال: لأنَّه إذا رأى بقلبه فقد عَلِمَه أيضًا بقلبه، وإذا وَقَعَ العلمُ فلا كَذِبَ معه، فإنَّه إذا كان الشيءُ في القلب معلومًا فكيف يكونُ معه تكذيب؟ قلتُ: وجوابُ هذا من وجهين: أحدهما: أنَّ الرجلَ قد يَتَخَيَّلُ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٥٦).

(٢) قرأ هشام عن ابن عامر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف.
انظر: السبعة (٦١٤) والتيسير (١٦٦) والنشر (٢/٢٨٣).

(٣) انظر: لسان العرب (كذب).

(٤) وهو الأخطل. والبيت في ديوانه (٢٣٩) والكتاب (٣/١٧٤) والمقتضب (٣/٢٩٥) وأمالي ابن الشجري (٣/١٠٩) والتصريح (٣/٥٩٢).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٢٣١).

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٦٩٢-٦٩٣).

(٧) لم أقف على قول المبرد هذا وَوَصْفُ القراءة بالبعد هو قول النحاس في إعراب القرآن (٤/٢٦٨).

الشيء على خلاف ما هو به، فَيُكَذِّبُه قلبُه، إذ يُريه صورةَ المعلوم على خلاف ما هي عليه، كما تُكَذِّبُه عينُه، فيقالُ: كَذَّبَتْه عينُه. فنفى –سبحانه– ذلك عن رسوله، وأخبر أنَّ ما رآه الفؤادُ فهو كما رآه. كَمَنْ رأى الشيء على حقيقة ما هو به، فإنَّه يَصِحُّ أنْ يُقَالَ: لم تُكَذِّبْه عينُه[1].

الثاني: أنْ يكونَ الضميرُ في (رأى) عائدًا إلى الرأي لا إلى الفؤاد، ويكون المعنى: ما كَذَّبَ الفُؤَادُ ما رآه البصرُ. وهذا – بحمد الله– لا إشكال فيه. والمعنى: ما كَذَّبَ الفُؤَادُ ما رآه البَصَرُ بل صَدَّقَه[2].

وعلى القراءتين فالمعنى: ما أَوْهَمَهُ الفُؤَادُ أنَّه رأى و لم يَرَ، ولا اتَّهَمَ بَصَرَه.

وقال رحمه الله في موضع آخر[3]: قال سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ أي: ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رآه ببصره. ولهذا قرأها أبو جعفر[4] ﴿مَا كَذَّبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ بتشديد الذال. أي: لم يُكَذِّب الفُؤَادُ البَصَرَ، بل صَدَّقَه وَوَاطَأَه؛ لصحة الفُؤَادِ والبصرِ أو استقامةِ البصيرة والبصر، وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حَقًّا. وَقَرَأَ الجمهورُ (مَاكَذَبَ الفُؤَادُ) بالتخفيف، وهو مُتَعَدٍّ، و(مَا رَأَى) مفعوله. أي: ما كَذَبَ قَلبُه ما رَأَتْه عيناه، بل وَاطَأَه وَوَافَقَه.

١٧– قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم :١٢].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٦٦/١٣) والكشف (٢٩٤/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٩٦/٣) والدر المصون (٨٨/١٠).

(٣) مدارج السالكين (٣٩٨/٢–٣٩٩).

(٤) يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة. وهي قراءة التشديد التي هي رواية هشام السابقة.

قال رحمه الله تعالى[١]: فيها قراءتان: ﴿ **أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ** ﴾ و ﴿ **أَفَتَمْرُونَهُ**﴾[٢].

وهذه المماراةُ أصْلُها من الجحد والدفع، تقول: مَرَيْـــت الرجـــلَ حَقَّـــه، إذا جَحَدْتُه[٣]. كما قال الشاعر:

لَئِنْ هَجَرْتَ أَخا صِدْقٍ وَمَكْرُمَــةٍ لَقَدْ مَرَيْتَ أخًا مَا كَانَ يَمْرِيكَــا[٤]

ومنه المماراة، وهي المجادلةُ والمكابرة، ولهذا عَدَّى هذا الفعلَ بـــ(على)، وهي على بابها، وليستْ بمعنى (عن) كما قَالَه المبردُ[٥]. بل الفعلُ متضمنٌ معنى المكابرة، وهذا في قراءة الألف أظهر[٦].

ورَجَّحَ أبو عبيدة[٧] قراءةَ مَنْ قَرَأَ (أَفَتَمْرُوْنَهُ). قال: وذلك أنَّ المشركين إنَّمــا شأنُهم الجحود لِمَا كان يأتيهم من الوحي. وهذا كان أكثر من المماراة منهم. يعني أنَّ مَنْ قرأ (أَفَتُمَارُونَه) فمعناه: أفتجادلونه؟ ومَنْ قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) معناه: أفتجحدونه؟ وجحودُهم لِمَا جاء به كان هو شأنهم، وكان أكثر من مجادلتهم له. وخالفه أبو علي وغيره، واختاروا قراءةَ (أَفَتُمَارُونَه). قال أبو علي: مَنْ قـــرأ (أَفَتُمَارُونَـــه)

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٥٧).

(٢) قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) بفتح التاء من غير ألف حمزة والكسائي. وقرأ الباقون (أَفَتُمَارُونَه) بضم التاء وألـــف. انظر: السبعة (٦١٤-٦١٥) والتيسير (١٦٦) والنشر (٢/٢٨٣).

(٣) انظر: الكشاف (٥/٦٣٩-٦٤٠).

(٤) البيت من غير نسبة في المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٢/٧٠٩) والكـــشاف (٥/٦٣٩) وتفسير القرطبي (١٧/٩٤) والبحر المحيط (١٠/١٢) والدر المصون (١٠/٨٩).

(٥) في الكامل (٢/٧٢١).

(٦) انظر: الكشف (٢/٢٩٤-٢٩٥) والكشاف (٥/٦٣٩).

(٧) كذا في المطبوع، وفي تفسير القرطبي (١٧/٩٤): أبو عبيد.

فمعناه: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دَفْعَه عَمَّا عَلِمَه وَشَاهَدَه؟ وَيُقَوِّي هذا الوجه قولُه تعالى ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾[1]. ومَنْ قرأ (أَفَتَمْرُوْنَهُ) كان المعنى: أفتجحدونه؟ قال: والمجادلة كأنَّها أَشْبَهُ في هذا؛ لأنَّ الجحود كان منهم في هذا وغيره، وقد جادله المشركون في الإسراء[2].

قلتُ: القومُ جَمَعُوا بين الجدال والدفع والإنكار، فكان جدالُهم جدالَ جحود ودَفْعٍ لا جدالَ اسْتِرشَادٍ وَتَبَيُّن حَقٍّ. وإثباتُ الألف يدلُّ على المجادلة، والإتيانُ بـ(على) يدلُّ على المكابرة، فكانت قراءةُ الألف منتظمةً للمعنيين جميعًا، فهي أولى، وبالله التوفيق.

١٨- قوله تعالى: ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥].

قال رحمه الله تعالى[3]: قُرِأَت الآيةُ بالوجوه الثلاثة[4]. فَمَنْ قَرَأَهَا بالضم أو الفتح فهو مصدر. ومَنْ قَرَأَهَا بالكسر فهو بمعنى المشروب[5].

وعلى الأول يَقَع التشبيهُ بين الفعلين، وهو المقصود بالذِّكْر. شَبَّهَ شُرْبَهم من الحميم[6] بشرب الإبل العطاش التي قد أصابها الهِيَامُ، وهو داءٌ تشربُ منه ولا

---

(١) سورة الأنفال، آية: (٦).

(٢) الحجة لأبي علي (٦/٢٣٠). وانظر: الكشف (٢/٢٩٥).

(٣) بدائع الفوائد (٢/٩٦-٩٧).

(٤) في كلمة (شرب) فقد قرأها نافع وعاصم وحمزة بضم الشين، وقرأ الباقون بفتحها.
انظر: السبعة (٦٢٣) والتيسير (١٦٨) والنشر (٢/٢٨٦). وأما قراءة الكسر فهي شاذة. انظر زاد المسير (٨/١٤٥) والبحر المحيط (١٠/٨٧) والدر المصون (١٠/٢١١).

(٥) انظر: إعراب القراءات السبع (٢/٣٤٥-٣٤٦) والكشف (٢/٣٠٥).

(٦) في قوله تعالى: (فشاربون عليه من الحميم) وهي الآية التي تسبقها.

تروى[١]. وهو جمع أَهْيَم، وأصلُه: هُيْم، بضم الهاء، كَأَحْمَر وحُمْر، ثُمَّ قَلَبُوا الضمة كسرةً لأجل الياء فقالوا: هِيْم[٢].

وأمَّا قراءةُ الكسر فوجهها أنَّه شَبَّهَ مشروبهم بمشروب الإبل الهِيْم في كثرته وعدم الرِّيِّ به[٣]، والله أعلم.

١٩- قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة :٧٥].

قال رحمه الله تعالى[٤]: اختُلِفَ في النجوم التي أقسم بمواقعها[٥]، فقيل: هي آياتُ القرآن، ومَوَاقعُها نُزُولُها شيئًا بعد شيء. وهذا قولُ ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء، وقول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة. وقيل: النجومُ هي الكواكب، ومواقعُها مساقطُها عند غروبها. هذا قول أبي عبيدة[٦] وغيره.

وقيل: مواقعُها: انتشارُها وانكدارُها يوم القيامة. وهذا قول الحسن[٧]. ومن حجة هذا القول أنَّ لفظ (مَوَاقِع) تقتضيه، فإنَّه (مَفَاعِلُ) من الوقوع، وهو السُّقُوط. فلكل نجم موقع، وجمعُها مواقع[٨].

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١٢٨/٣) وتفسير غريب القرآن (٤٥٠). وزاد المسير (١٤٥/٨).

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٣٨/٤) والدرر المصون (٢١١/١٠).

(٣) انظر: الكشاف (٣١/٦).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (١٣٦-١٣٧).

(٥) قرأ (بموقع) على التوحيد حمزة والكسائي. وقرأ الباقون (بمواقع) على الجمع. وحديث المؤلف هنا عن قراءة الجمع. انظر: السبعة (٦٢٤) والتيسير (١٦٨) والنشر (٢٨٦).

(٦) في مجاز القرآن (٢٥٢/٢).

(٧) انظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري (٢٦٤/١٣-٢٦٦) وزاد المسير (١٥١/٨) وتفسير القرطبي (٢١٥/١٧-٢١٦) والبحر المحيط (٩٢/١٠).

(٨) انظر: المختار في معاني قراءات أهل الأمصار (٧٢٦/٢).

ومن حجة قول مَنْ قال هي مساقطها عند الغروب أنَّ الرَّبَّ تعالى يُقْسِمُ بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها، إذ فيها وفي أحوالها الثلاث آيةٌ وعبرة ودلالة... ويُرَجِّحُ هذا القول أيضًا أنَّ النجوم حيث وَقَعَتْ في القرآن فالمرادُ منها الكواكب، كقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[1] وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾[2].

ومَنْ قَرَأَ (بِمَوْقِعِ النُّجُوم) على الإفراد[3] فلدلالة الواحد المضاف إلى الجمع على التعدد. والمواقعُ اسم جنس، والمصادرُ إذا اختلفت جُمِعَتْ. وإذا كان النوعُ واحدًا أُفْرِدَتْ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[4] فَجَمَعَ الأصواتَ لتعدد النوع، وأفرد صوتَ الحمير لوحدته. فإفرادُ موقع النجوم لوحدة المضاف إليه. وتعددُ المواقع لتعدده، إذ لكل نجمٍ موقع[5].

٢٠- قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ[6] فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾

[المدثر: ٥٠-٥١].

---

(١) سورة الطور، آية: (٤٩).

(٢) سورة الأعراف، آية: (٥٤).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي كما سبق.

(٤) سورة لقمان، آية: (١٩).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٢٦٢/٦-٢٦٣) وحجة القراءات (٦٩٧) والكشف (٣٠٦/٢) وشرح الهداية (٥٢٨/٢) والموضح (١٢٤١/٣-١٢٤٢).

(٦) قرأ نافع وابن عامر (مُسْتَنْفَرَة) بفتح الفاء. وقرأ الباقون بكسرها. انظر السبعة (٦٦٠) والتيسير (١٧٦) والنشر (٢٩٤/٢).

قال رحمه الله تعالى[(١)]: شَبَّهَهُمْ[(٢)] في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بِحُمُرٍ رأت الأسَدَ أو الرُّمَاةَ[(٣)] ففرت منه. وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإنَّ القومَ في جهلهم بما بَعَثَ الله به رسولَه كالحُمُر، وهي لا تعقلُ شيئًا.

فإذا سَمِعَت صوتَ الأسد أو الرامي نَفَرتْ منه أشدَّ النُّفُور. وهذا غايةُ الذم لهؤلاء؛ فإنَّهم نَفَرُوا عن الهدى الذي فيه سعادتُهم وحياتُهم كَنُفُور الحُمُر عما يهلكها ويعقرها.

وتحت المُسْتَنْفِرَة معنىً أبلغُ من النافرة؛ فإنَّها لشدة نفورها قد اسْتَنْفَرَ بعضُها بعضًا، وحَضَّه على النفور، فإنَّ في الاستفعال من الطلب قدرًا زائدًا على الفعل المجرد فكأنَّها تَوَاصتْ بالنفور، وتواطأت عليه[(٤)].

وَمَنْ قَرَأَه بالفتح[(٥)] فالمعنى أنَّ القَسْوَرَة اسْتَنْفَرَها وحَمَلَها على النُّفُور ببأسه وشدته[(٦)].

٢١- قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[(٧)] [الإنسان: ٢١].

(١) أعلام الموقعين (١/١٦٤).

(٢) أي المعرضين عن كلام الله. وهذا التوجيه على قراءة الكسر.

(٣) وهما قولان في تفسير القسورة. انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢٠٦) وتفسير غريب القرآن (٤٩٨).

(٤) انظر: الكشاف (٦/٢٦٣).

(٥) وهما نافع وابن عامر كما سبق.

(٦) انظر: حجة القراءات (٧٣٤) والكشف (٢/٣٤٧-٣٤٨) والموضح (٣/١٣١٤).

(٧) في هذه الآية ثلاث قراءات سيتحدث عنها المؤلف جميعها بالترتيب.

قال رحمه الله تعالى[١]: اخْتَلَفَ القراءُ السبعةُ في نَصْبِ ﴿ عَـٰلِيَهُمْ ﴾ وَرَفْعِـه على قراءتين[٢]. واختلفَ النحاةُ في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين[٣]. واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم، فيطوفون وعليهم ثيابُ السُنْدُس والإستبرق، أو للسادات الذين يطوفُ عليهم الولدان، فيطوفون على ساداتهم، وعلى السادات هذه الثياب[٤].

وليس الحالُ هاهنا بالبَيِّن، ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع.

فالصواب أنَّه منصوبٌ على الظرف[٥]؛ فإنَّ (عالياً) لَمَّا كان بمعنى (فوق) أُجْرِيَ مُجْرَاه. قال أبو علي: وهذا الوجه أَبْيَنُ، وهو أنَّ (عالياً) صفة، فَجُعِلَ ظرفاً، كما كان قوله: ﴿ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾[٦] كذلك. وكما قالوا: هو ناحيةً من الدار[٧].

وأمَّا مَنْ رَفَع (عَالِيْهِمْ) فعلى الابتداء، و (ثِيَابُ سُنْدُسٍ) خبرُه. ولا يمنعُ من هذا إفرادُ (عالٍ) وجمع (الثياب)؛ فإنَّ (فاعلاً) قد يُرَادُ به الكثير[٨]. كما قال:

---

(١) حادي الأرواح (٢٤٢-٢٤٣).

(٢) قرأ نافع وحمزة بإسكان الياء وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء.
انظر: السبعة (٦٦٤) والتيسير (١٧٧) والنشر (٢/٢٩٦).

(٣) انظر: مشكل إعراب القرآن (٢/٧٨٦) والدر المصون (١٠/٦١٦-٦١٨).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥/٢٦٢) والكشاف (٦/٢٨٢).

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢١٨-٢١٩) وإعراب القراءات السبع (٢/٤٢٢).

(٦) سورة الأنفال، آية (٤٢).

(٧) الحجة لأبي علي (٦/٣٥٥).

(٨) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٥٥-٣٥٦) والموضح (٣/١٣٢٣).

أَلاَ إنَّ جيراني العَشيَّةَ رَائِحٌ دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ من هَوًى وَمَنادِحُ[١]

قال تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾[٢].

٢٢- وَمَنْ رَفَع (خُضْرًا)[٣] أجراه صفةً للثياب، وهو الأقيسُ من وجوه: أحدها: المطابقةُ بينهما في الجمع. الثاني: موافقته لقوله تعالى: ﴿ **وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا** ﴾[٤]. الثالث: تخلصه من المفرد بالجمع. ومَنْ جَرَّ[٥] أجراه صفةً للسُّنْدُس على إرادة الجنس، كما يُقَالُ: أَهْلَكَ النَّاسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدِّرْهَمُ البِيْضُ[٦].

وتَتَرَجَّحُ القراءةُ الأولى بوجه رابع أيضًا وهو أنَّ العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا** ﴾[٧] وكقوله: ﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾[٨] فإذا

---

(١) البيت لحيَّان بن حُلْبَة المحاربي في النوادر لأبي زيد (١٥٧) وشرح شواهد الإيضاح لابن بري (٥٧٠) والأشباه والنظائر (٢٢٧/٤). ومن غير نسبة في معاني القرآن للفراء (١٣٠/١) والحجة لأبي علي (٣٥٦/٦) والمحتسب (١٥٤/٢) والموضح (١٣٢٣/٣) وهمع الهوامع (١١٩/٦).

(٢) سورة المؤمنون، آية: (٦٧).

(٣) هم نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم. وقرأ الباقون بالجر. انظر: السبعة (٦٦٤-٦٦٥) والتيسير (١٧٧) والنشر (٢٩٦/٢).

(٤) سورة الكهف، آية: (٣١).

(٥) وهم ابن كثير وحمزة الكسائي وأبو بكر عن عاصم، كما سبق.

(٦) انظر: الحجة لأبي علي (٣٥٧/٦) والكشف (٣٥٥/٢) وشرح الهداية (٥٤٥/٢).

(٧) سورة يس، آية: (٨٠).

(٨) سورة القمر، آية: (٢٠).

كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفرادُ صفة الواحد – وإنْ كان في معنى الجمع – أولى[١].

٢٣- وفي (إسْتَبْرَق) قراءتان[٢]: الرفعُ عطفاً على (ثياب). والجرُّ عطفًا على (سُنْدُس)[٣].

٢٤- قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير:٢٤].

قال رحمه الله تعالى[٤]: القراءتان[٥] كالآيتين. فَتَضَمَّنَتْ إحداهما – وهي قراءةُ الضَّاد – تنزيهه عن البخل. فإنَّ الضَّنين هو البخيل. يُقَالُ: ضَنِنْتُ به أَضَنُّ، بوزن، بَخِلْتُ به أَبْخَلُ، ومعناه[٦]. ومنه قول جميل بن معمر[٧]:

أَجُودُ بِمَضْنُونِ التِّلادِ وإنَّني بِسِرِّكِ عَمَّنْ سَالَني لَضَنِينُ[٨]

---

(١) انظر: الحجة لأبي علي (٣٥٧/٦-٣٥٨).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم بالرفع. وقرأ الباقون بالجر. انظر: مصادر القراءة السابقة.

(٣) انظر: حجة القراءات (٧٤٠-٧٤١) والكشف (٣٥٦/٢) وشرح الهداية (٥٤٥/٢).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (٧٨-٧٩).

(٥) في قوله (بضنين). فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظاء، وقرأ الباقون بالضاد. انظر: السبعة (٦٧٣) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢٩٨/٢).

(٦) انظر: الصحاح (ضنن).

(٧) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري، أحد عشاق العرب، وصاحب بثينة. الشعر والشعراء (٤٣٤) والأغاني (٧٢/٧).

(٨) لم أجده في ديوانه وهو لقيس بن الخطيم في أمالي القالي (١٧٧/٢، ٢٠٢) وبلا نسبة في تفسير القرطبي (٢٣١/١٩) والبحر المحيط (٤١٣/١٠).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس بخيلاً بما أَنْزَلَ اللهُ. وقال مجاهد: لا يَضَنُّ عليهم بما يعلم[1].

وأجمع المفسرون على أنَّ (الغيب) ها هنا القرآن والوحي. وقال الفراء[2]:

يقول تعالى: يأتيه غيبُ السماء وهو منفوسٌ فيه، فلا يَضَنُّ به عليكم.

وهذا معنًى حسنٌ جدًّا؛ فإن عادة النفوس الشُّحُّ بالشيء النفيس، ولا سِيَّمَا عَمَّنْ لا يعرفُ قَدْرَه، ويَذُمُّه ويَذُمُّ مَنْ هو عنده، ومع هذا فهذا الرسول لا يبخلُ عليكم بالوحي الذي هو أَنْفَسُ شيء وأجلُّه. وقال أبو علي الفارسي: المعنى يأتيه الغيبُ فَيُبَيِّنُه ويخبرُ به ويظهرُه ولا يكتمُه كما يكتمُ الكاهنُ ما عنده، ويخفيه حتى يَأْخُذَ عليه حُلْوانًا[3].

وفيه معنًى آخر، وهو أنَّه على ثقة من الغيب الذي يُخْبِرُ به فلا يخافُ أنْ ينتقضَ، ويظهرَ الأمرُ بخلاف ما أَخْبَرَ به، كما يَقَع للكهان وغيرهم ممن يُخْبِرُ بالغيب، فإنَّ كَذِبَهم أضعافُ صدقهم. وإذا أَخْبَرَ أحدُهم بخبر لم يكنْ على ثقة منه، بل هو خائفٌ من ظهور كذبه. فإقدامُ هذا الرسولِ على الإخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو أعظمُ الغيب واثقًا به، مُقيمًا عليه، مُبْدِيًا له في كُلِّ مَجْمَع وَمُعيدًا، مُنَادِيًا به على صِدْقِهِ، مُجْلِبًا به على أعدائه = من أعظم الأدلة على صدقه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٠٢) وتفسير القرطبي (١٩/٢٣١).

(٢) في معاني القرآن (٣/٢٤٢).

(٣) الحجة لأبي علي (٦/٣٨١).

أمَّا قراءةُ مَنْ قَرَأَ (بظنين) بالظاء، فمعناه: المُتَّهَم، يُقَالُ: ظَنَنْتُ زيدًا، بمعنى: اتَّهَمْتُه[١]. وليس من الظَّنِّ الذي هو الشعور والإدارك، فإنَّ ذاك يتعدى إلى مفعولين[٢]. ومنه ما أنشده أبو عبيدة:

أَمَا وَكِتَابِ اللهِ لا عَنْ شَنَاءَةٍ هُجِرْتُ، وَلكنَّ المُحِبَّ ظَنِينُ[٣]

والمعنى: وما هذا الرسولُ على القرآن بمتهم، بل هو أمينٌ لا يزيدُ فيه ولا ينقص. وهذا يدلُّ على أنَّ الضميرَ يرجعُ إلى محمد ﷺ؛ لأنَّه قد تَقَدَّمَ وصفُ الرسول الملكي بالأمانة[٤]، ثُمَّ قال: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير :٢٢]، ثُمَّ قال: (وما هو) أي: وما صحابكم بمتهم ولا بخيل.

واختَارَ أبو عبيدة[٥] قراءةَ (الظاء) لمعنيين: أحدهما: أنَّ الكفارَ لم يُبَخِّلُوه، وإنَّما اتَّهَمُوه، فَنَفْيُ التُّهْمَةِ أَولَى من نفي البخل.

الثاني: أنَّه قال (على الغيب)، ولو كان المرادُ البخلَ لقال: بالغيب؛ لأنَّه يُقَالُ: فلانٌ ضَنِينٌ بكذا، وَقَلَّما يُقَالُ: على كذا[٦].

قلتُ: وَيُرَجِّحُه أنَّه وَصَفَه بما وَصَفَ به رسولَه الملكي من الأمانة، فَنَفَى عنه

---

(١) انظر: لسان العرب (ظنن).

(٢) انظر: الحجة لأبي علي (٣٨٠/٦-٣٨١) والكشف (٣٦٤/٢).

(٣) نسبه المبرد في الكامل (٢٣/١) لعبد الرحمن بن حسان. وفي اللسان (ظنن) لنهار بن توسعة نقلاً عن ابن بري، وبلا نسبة في تفسير القرطبي (٢٣٠/١٩).

(٤) وهو جبريل عليه السلام في قوله تعالى: (مُطَاعٍ ثَمَّ أَمين) آية (٢١) من السورة نفسها.

(٥) كذا في المطبوع. وفي إعراب القرآن للنحاس (١٦٣/٥) وتفسير القرطبي (٢٣٠/١٩-٢٣١): أبو عبيد.

(٦) انظر: مشكل إعراب القرآن (٨٠٣/٢).

التُّهْمَةَ، كما وَصَفَ جبريلَ بأنَّه أمين. ويُرَجِّحُه أيضًا أنَّه سبحانه نَفَى أقسامَ الكذب كُلَّها عَمَّا جاء به من الغيب. فإنَّ ذلك لو كان كذبًا فإمَّا أنْ يكونَ منه، أو ممَّنْ عَلَّمَه. وإنْ كان منه فإمَّا أن يكون تَعَمَّدَه، أو لم يَتَعَمَّدْه. فإنْ كان من مُعَلِّمه فليس هو بشيطان رجيم، وإنْ كان منه مع التَّعمُّد فهو المُتَّهَمُ، ضد الأمين. وإنْ كان عن غير تَعَمُّدٍ فهو المجنون. فَنَفَى سبحانه عن رسوله ذلك كُلَّه، وَزَكَّى سَنَدَ القرآنِ أَعْظَمَ تزكية.

٢٥- قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق :١٩] .

قال رحمه الله تعالى[١]: قُرِئَ (لَتَرْكَبُنَّ) بضم الباء للجمع، وبفتحها[٢]. فَمَنْ فَتَحَها فالخطابُ عنده للإنسان، أي: لَتَرْكَبَنَّ أيُّها الإنسان. وقيل: هو النبي ﷺ خاصة. وقيل: ليست التاءُ للخطاب، ولكنَّها للغيبة، أي لَتَرْكَبَنَّ السماءُ طبقاً عن طبق. وَمَنْ ضَمَّها فالخطابُ للجماعة ليس إلا[٣].

فَمَنْ جَعَلَ الكنايةَ للسماء قال: المعنى: لَتَرْكَبَنَّ السماءُ حالاً بعد حال، من حالاتها التي وَصَفَها اللهُ تعالى، من الانشقاق والانفطار والطيِّ، وكونها كالمُهْل مَرَّةً وَمَوَرَانها وتفتحها، وغير ذلك من حالاتها. وهذا قولُ عبد الله بن مسعود ﷺ[٤]. وَدَلَّ

(١) التبيان في أقسام القرآن (٧١-٧٢).

(٢) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها.
انظر: السبعة (٦٧٧) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢/٢٩٨-٢٩٩).

(٣) انظر: الحجة لأبي علي (٦/٣٩١) وحجة القراءات (٧٥٦-٧٥٧). والكشف (٢/٣٦٧-٣٦٨) والموضح (٣/١٣٥٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٥٥-١٥٦) وتفسير القرطبي (١٩/٢٦٦-٢٦٧) وتفسير ابن كثير (٤/٤٩١).

على السماء ذِكْرُ الشَّفَق والقمر[١]. وعلى هذا فيكونُ قَسَمًا على المَعَاد وتغيير العالم.

وَمَنْ قال الخطابُ للنبي ﷺ فله ثلاثةُ[٢] معانٍ: لَتَركَبَنَّ سماءً بعد سماء، حتى تنتهيَ إلى حيث يُصْعِدُك اللهُ. هذا قولُ ابن عباس في رواية مجاهد، وقولُ مسروق والشعبي[٣]، قالوا: والسماءُ طَبَقٌ، ولهذا يُقَالُ للسموات: السَّبْعُ الطباق[٤]. والمعنى الثاني: لَتَصْعَدَنَّ دَرَجةً بعد دَرَجَةٍ، ومَنْزِلَةً بعد مَنْزِلَةٍ، ورُتْبَةً بعد رُتْبَةٍ، حتى تنتهي إلى محل القُرْبِ والزُّلْفَى من الله. والمعنى الثالث: لَتَرْكَبَنَّ حالاً بعد حالٍ، من الأحوال المختلفة التي نَقَّلَ اللهُ فيها رسوله ﷺ، من الهجرة والجهاد، ونَصْرِه على عدوه، وإدالة العدو عليه تارةً، وغناه وفقره وغير ذلك من حالاته التي تَنَقَّلَ فيها إلى أنْ بَلَّغَ ما بَلَّغه إياه[٥].

وَمَنْ قال الخطابُ للإنسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد، وهو تَنَقُّلُ الإنسان حالاً بعد حال، من حين كونه نُطْفَةً إلى مُسْتَقَرِّه من الجنة أو النار. فكم بين هذين من الأطباق والأحوال للإنسان. وأقوالُ المفسرين كُلُّها تدورُ على هذا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لَتَصِيْرَنَّ الأُمورُ حالاً بعد حال. وقيل: لَتَرْكَبَنَّ أيها الإنسان حالاً بعد حال، من النُّطْفَةِ إلى العَلَقَة إلى المُضْغَة، إلى كونه حَيًّا، إلى خروجه إلى هذه الدار، ثُمَّ ركوبه طَبَقَ التمييز بين ما ينفعُه ويضرُّه، ثُمَّ ركوبه بعد ذلك طبقًا آخر، وهو طبقُ البلوغ، ثُمَّ ركوبه طَبَقَ الأَشُدِّ، ثم طَبَقَ الشيخوخة، ثم طَبَقَ الهَرَم، ثم ركوبه طَبَقَ ما بعد الموت في البرزخ، وركوبه في أثناء هذه الأحوال أطباقًا عديدة، لا يَزَالُ ينتقلُ فيها

---

(١) في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴾

(٢) في المطبوع (ثلاث).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٩/٢٦٦) وتفسير ابن كثير (٤/٤٩١).

(٤) انظر: لسان العرب (طبق).

(٥) انظر: حجة القراءات (٧٥٦).

حالاً بعد حال إلى دار القرار. فذلك آخرُ أطباقه التي يعلمها العبادُ، ثُمَّ يفعلُ اللهُ سبحانه بعد ذلك ما يشاء. واختار أبو عبيدة[١] قراءة الضم، وقال: المعنى بالناس أَشْبَهُ منه بالنبي ﷺ، فإنَّه ذَكَرَ قبل الآية مَنْ يُؤْتَى كتابَه بيمينه، وَمَنْ يُؤْتَى كتابَه بشماله[٢]، ثُمَّ ذَكَرَ بعدها قوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]؟ فَذَكَرَ كونهم طبقًا بعد طبق. قال الواحدي: وهذا قولُ أكثر المفسرين، قالوا: لَتَرْكَبُنَّ حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل، وأمرًا بعد أمر. قال سعيدُ بن جبير وابنُ زيد[٤]: لتكونُنَّ في الآخرة بعد الأولى، ولتصيرُنَّ أغنياءَ بعد الفقر، وفقراء بعد الغنى. وقال عَطَاء: شِدَّةً بعد شِدَّة. وقال أبو عبيدة: لتركبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل[٥].

٢٦- قوله تعالى: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾[البروج: ١٥][٦].

قال رحمه الله تعالى[٧]: وَصَفَ نَفْسَه بالمجيد[٨]، وهو المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسَعَةِ أفعاله، وكثرة خيره ودوامه.

---

(١) كذا في المطبوع. وفي تفسير القرطبي (٢٦٧/١٩) الاختيار والقول لأبي عبيد.

(٢) في الآيتين (٧، ١٠) من السورة نفسها.

(٣) آية (٢٠).

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمري المدني. صاحب قرآن وتفسير توفي سنة (١٨٢هـ). الفهرست (٣١٥) سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨).

(٥) انظر: الحجة لأبي علي (٣٩١/٦) والبحر المحيط (٤٣٩/١٠) وتفسير ابن كثير (٤٩١/٤).

(٦) في (المجيد) قراءتان، فقد قرأ حمزة والكسائي بالجر، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: السبعة (٦٧٨) والتيسير (١٧٩) والنشر (٢٩٩/٢).

(٧) التبيان في أقسام القرآن (٦٠-٦١).

(٨) وذلك على قراءة الرفع. فهو صفةٌ لـ(ذو). انظر: علل القراءات (٧٦٣/٢) وإعراب القراءات =

وأمَّا مَنْ ليس له صفاتُ كمال، ولا أفعالٌ حميدةٌ فليس له من المجد شيء. والمخلوق إنَّما يصيرُ مجيداً بأوصافه وأفعاله، فكيف يكونُ الرَّبُّ تبارك وتعالى مجيدًا وهو مُعَطَّلٌ عن الأوصاف والأفعال؟ تعالى اللهُ عَمَّا يقولُ المُعَطِّلُون عُلُوًّا كبيرًا. بل هو المجيد الفَعَّالُ لما يُريدُ[١].

والمجدُ في لغة العرب كثرةُ أوصاف الكمال وكثرةُ أفعال الخير[٢]. وأحسنُ ما قُرِنَ اسمُ المجيد على الحميد، كما قالت الملائكةُ لبيت الخليل عليه السلام: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[٣]. وكما شَرَعَ لنا في آخر الصلاة أنْ نُثْنِيَ على الرَّبِّ تعالى بأنَّه حميد مجيد[٤]. وَشَرَعَ في آخر الركعة عند الاعتدال أنْ نقولَ: "رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، أَهْلَ الثَنَاءِ والمجد"[٥]. فالحمدُ والمجدُ على الإطلاق لله الحميد المجيد. فالحميدُ: الحبيبُ المُسْتَحِقُّ لجميع صفات الكمال. والمجيدُ العظيمُ الواسعُ القادرُ الغنيُّ، ذو الجلال والإكرام.

وَمنْ قَرَأَ (المجيد) بالكسر[٦]، فهو صفةٌ لعرشه سبحانه. وإذا كان عَرْشُه مجيدًا فهو سبحانه أَحَقُّ بالمجد.

= السبع (٤٥٧/٢) وحجة القراءات (٧٥٧) وشرح الهداية (٥٥١/٢).

(١) يَرُدُّ المؤلفُ رحمه الله على المعطلة الذين ينفون صفات الله عز وجل أو بعضها، وينكرون قيامها بذاته سبحانه.وهم طوائف عدة، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم.

انظر: الصواعق المرسلة (١٧٨/١) وما بعدها.

(٢) انظر: لسان العرب (مجد).

(٣) سورة هود، آية: (٧٣).

(٤) انظر: صحيح البخاري (٣٣٦٩) صحيح مسلم (٤٠٥).

(٥) انظر: صحيح مسلم (٤٧٧).

(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي كما سبق.

وقد اسْتَشْكَلَ هذه القراءةَ بعضُ الناس، وقال: لم يُسْمَعْ في صفات الخلق (مجيد)[١]. ثُمَّ خَرَّجَها على أحد الوجهين: إمَّا على الجِوَارِ[٢]، وإمَّا أنْ يكون صفةً لِرَبِّكَ[٣]. وهذا من قلة بضاعة هذا القائل. فإنَّ الله سبحانه وَصَفَ عَرْشَه بالكرم[٤]، وهو نظيرُ المجد. ووَصَفَه بالعظمة[٥]. فَوَصْفُهُ سبحانه بالمجد مطابقٌ لِوَصْفِه بالعظمة والكرم، بل هو أَحَقُّ المخلوقات أنْ يُوصَفَ بذلك؛ لِسَعَتِه وَحُسْنِه وبهاءِ منظره. فإنَّه أوسعُ كُلِّ شيءٍ في المخلوقات وأجملُه، وأجمعُه لصفات الحُسْنِ وبهاء المنظر، وعُلُوِّ القَدْرِ والرُّتبةِ والذَّات. ولا يَقْدِرُ قَدْرَ عَظَمَتِه وحُسْنِه وبهاءِ منظره إلا الله. ومجدُه مُسْتَفَادٌ من مجد خالقه ومبدعه. والسماواتُ السبعُ والأرضون السبع في الكرسي الذي بين يديه كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ في أرض فَلاَة، والكرسيُّ فيه كتلك الحَلْقَة في الفَلاَة[٦]. قال ابنُ عباس: السماوات السبعُ في العرش كسبعة دراهم جُعِلْنَ في تُرْس[٧]. فكيف لا يكون مجيدًا وهذا شأنُه. فهو عظيمٌ كريمٌ مجيد.

---

(١) انظر: مشكل إعراب القرآن (٨٠٩/٢-٨١٠).

(٢) لم أقف على هذا التخريج فيما لدي من مصادر. ولكن ورد في إعراب القرآن للنحاس (١٩٥/٥) ما يُفيد رده على هذا الوجه. والكلام في مطبوعة الكتاب غير مستقيم، ولعل في العبارة سقطا، وهو الأرجح. ونقل الفارسي في الحجة (٣٩٣/٦) عن بعض النحويين منعه حمل الجر على أنه وصف للعرش.

(٣) وقد قال بهذا الوجه غير واحد من أهل التوجيه. انظر بالإضافة إلى ما سبق: الموضح (١٣٥٦/٣) والدر المصون (٧٤٨/١٠).

(٤) في سورة المؤمنون، آية (١١٦).

(٥) في ثلاثة مواضع، في سورة التوبة، آية: (١٢٩)، وسورة المؤمنون آية: (٨٦)، وسورة النمل، آية: (٢٦).

(٦) انظر: كتاب العرش لابن أبي شيبة وعرش الرحمن لابن تيمية.

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٦/٣).

وأمَّا تَكَلُّفُ هذا المُتَكَلِّفِ جَرَّه إلى الجوار، أو أنَّه صفةٌ لرَبِّكَ فتكلفٌ شديد، وخروجٌ عن المألوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك.

٢٧- قوله تعالى: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد : ١٣].

قال رحمه الله تعالى[١]: قراءةُ مَنْ قَرَأَ (فَكَّ رَقَبَةً) بالفعل، كأنَّها أرجحُ من قراءة مَنْ قَرَأَها بالمصدر[٢]؛ لأنَّ قوله : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾[٣] على حَدِّ قوله: ا وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾[٤]و﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾[٥]، ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾[٦] ونظائره، تعظيمًا لشأن (العقبة) وتفخيمًا لأمرها. وهي جملةُ اعتراض بين المُفَسِّرِ والمُفَسَّرِ. فإنَّ قولَه: ﴿ فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ[٧] فِي يَوۡمٍ ذِي مَسۡغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (٢٨-٢٩).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (فَكَّ) بفتح الكاف على أنه فعل ماض، ونصب (رقبة) وقرأ الباقون (فكُّ) بالرفع والإضافة.

انظر: السبعة (٨٦٨) والتيسير (١٨١) والنشر (٢/٣٠٠).

(٣) آية (١٢) من السورة نفسها.

(٤) سورة الحاقة، آية: (٣).

(٥) سورة الانفطار، آية: (١٧).

(٦) سورة القارعة، الآيتان: (١٠-١١).

(٧) رسمت الكلمتان (فك، أطعم) في المطبوع على قراءة حفص. وهذا مخالف لمراد المؤلف في حديثه عن قراءة الفعل. ومن قرأ (فك) على أنها فعل ماض فهو يقرأ (أطعم) كذلك. انظر: المصادر السابقة.

كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)] تفسيرٌ لاقتحام (العقبة) [(٢)] مكان شاق كؤود يقتحمه الناسُ حتى يصلوا إلى الجنة. واقتحامُه بفعل هذه الأمور. فَمَنْ فَعَلَها فقد اقْتَحَمَ العقبةَ. ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهذا عطفٌ على قوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾، والأحسنُ تَنَاسُبُ هذه الجملِ المعطوفةِ التي هي تفسيرٌ لما ذُكِرَ أولاً[(٣)].

وأيضًا فإنَّ مَنْ قَرَأَها بالمصدر المضاف فلا بُدَّ له من تقدير، وهو ما أَدْرَاكَ ما اقْتِحَامُ العقبة؟ واقْتِحَامُها فَكُّ رقبة[(٤)]. وأيضًا فَمَنْ قَرَأَها بالفعل فقد طابق بين المُفَسِّر وما فَسَّره. وَمَنْ قَرَأَها بالمصدر فقد طابق بين المُفَسِّر وبعض ما فَسَّره. فإنَّ التفسير إنْ كان لقوله (اقْتَحَمَ) طابقه بقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾وما بعده، دُوْنَ (فَكُّ رقبة) وما يليه . وإنْ كان لقوله: (العقبة) طابقه ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَـٰمٌ ﴾ ، دون قوله ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وما بعده. وإنْ كانت المطابقةُ حاصلةً معنًى، فحصولُها لفظًا ومعنًى أَتَمُّ وأحسن[(٥)].



---

(١) الآيات (١٣-١٧) من السورة نفسها.

(٢) كذا في المطبوع، والعبارة قلقة. ولعل الصواب.... تفسيرٌ لـ(اقتحم). والعقبةُ: مكان...

(٣) نقل ابن زنجلة عن أبي عمرو قوله: (معناه: فَهَلاَّ فَكَّ رقبةً أو أطعم فكان من الذين آمنوا) حجة القراءات (٤٦٤).

(٤) انظر: الحجة لأبي علي (٤١٤/٦-٤١٦) وحجة القراءات (٧٦٤-٧٦٦) والكشف (٣٧٥/٢-٣٧٧).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (٧١/٢٠) والدر المصون (٩/١١).

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في رياض علم هذا الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته والتي كانت تدور في فلك كتاب الله الكريم، توجيهاً واحتجاجاً وتعليلاً بقراءاته المتواترة نقف مع شيء من نتائج هذه الدراسة.

أولاً: أهمية جمع ما تفرق من أقوال الأئمة الأعلام في توجيه القراءات، ممن لم تكن لهم مؤلفات مفردة في هذا الفن.

وهو جانب من جوانب التأليف التي ذكرها العلماء، وهو جمع المتفرق. مع ما تشتمل عليه هذه التوجيهات المتفرقة من فوائد زوائد لم تشتمل عليها كتب هذا العلم.

ثانياً: إلقاء الضوء على جوانب مشرقة من علوم هذا الإمام الذي يتسم بالموسوعية والشمول. وهي جوانب لم تأخذ حقها من العناية والاهتمام.

ثالثًا: الفوائد الماتعة والثمرات اليانعة التي يجتنيها الباحث في هذا العلم الجليل، المتعلق بكتاب الله الكريم. ومن المعلوم أنَّ شرف العلم من شرف المعلوم.

وبعد، فهذه التوجيهات رافدٌ من روافد هذا الصرح الشامخ –علم النحو والصرف– الذي يدور حول كتاب الله الكريم، استنباطاً وتعليلاً وتوجيهاً، فهو المعين الثر، والبحر الثجّاج، وهو – بجميع قراءاته– المصدر الأول والأعلى من مصادر السماع في أصول النحو العربي.

فهرس المصادر والمراجع

١- **إتحاف فضلاء البشر**، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ.

٢- **الأزهية في علم الحروف**، للهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٤١٣)هـ.

٣- **الأشباه والنظائر**، للسيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٤- **إعراب القراءات السبع وعللها**، لابن خالويه، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٥- **إعراب القراءات الشواذ**، للعكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧)هـ.

٦- **إعراب القرآن، للنحاس**، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية (١٤٠٥)هـ.

٧- **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن القيم، راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

٨- **إغاثة اللهفان**، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية (١٣٥٨).

٩- **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر - بيروت.

١٠- **أمالي ابن الحاجب**، تحقيق: د. فخر صالح سليمان قداره، دار عمار- عمان، ودار الجيل- بيروت، (١٤٠٩)هـ.

١١- **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

١٢- **الأمالي**، لأبي علي القالي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٠٤)هـ.

١٣- الإمام ابن قيم الجوزية وآراؤه النحوية، لأيمن عبد الرزاق الشوا، دار البشائر — دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

١٤- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر —بيروت، (١٤١٢)هـ.

١٥- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي — السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٤)هـ.

١٦- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي — بيروت.

١٧- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر—بيروت.

١٨- البدر الطالع، للشوكاني، دار المعرفة- بيروت.

١٩- بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- الطبعة الثانية (١٣٩٩)هـ.

٢٠- البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري، تحقيق: د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٠٠)هـ.

٢١- التبصرة والتذكرة، للصيمري، تحقيق: د. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى (١٤٠٢)هـ.

٢٢- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، تصحيح وتعليق: طه يوسف شاهين، دار الكتب العلمية — بيروت (١٤٠٢)هـ.

٢٣- التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، تحقيق: د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـ.

٢٤- تفسير الطبري (جامع البيان)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر — بيروت، (١٤٢٠)هـ.

٢٥- تفسير غريب القرآن — لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية — بيروت، (١٣٩٨)هـ.

٢٦- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، راجعه وضبطه وعلق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، درا الحديث —القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٦)هـ.

٢٧- تفسير ابن كثير، دار الحديث –القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٠)هـ.

٢٨- تهذيب مختصر سنن أبي داود، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي وأحمد محمد شاكر، دار المعرفة – بيروت.

٢٩- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عني بتصحيحه: أوتويرتزل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٣٠- جلاء الأفهام، لابن القيم، تحقيق: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ودار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٧)هـ.

٣١- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٣٢- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، تحقيق: محمد العلاوي، دار ابن رجب، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٣٣- حجة القراءات، لابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة الخامسة (١٤١٨)هـ.

٣٤- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٣٥- الدر المصون، للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ.

٣٦- الدرر الكامنة، لابن حجر، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة – مصر.

٣٧- ديوان الأخطل، شرح: مجيد طراد، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٣٨- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر – بيروت.

٣٩- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت.

٤٠- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٤٠٧)هـ.

٤١- **زاد المعاد في هدى خير العباد**، لابن القيم، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الخامسة والعشرون (١٤١٢)هـ.

٤٢- **السبعة في القراءات**، لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف- الطبعة الثالثة.

٤٣- **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرَّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الحادية عشرة (١٤١٩)هـ.

٤٤- **شرح التسهيل**، لابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (١٤١٠)هـ.

٤٥- **شرح شواهد الإيضاح**، لابن بري، تحقيق: د. عيد مصطفى درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية — القاهرة (١٤٠٥)هـ.

٤٦- **شرح الكافية**، للرضي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس — بنغازي، الطبعة الثانية (١٩٩٦)م.

٤٧- **شرح المفصل**، لابن يعيش، عالم الكتب — بيروت.

٤٨- **شرح الهداية**، للمهدوي، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦)هـ.

٤٩- **الشعر والشعراء**، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١٨)هـ.

٥٠- **شفاء العليل**، لابن القيم، دار المعرفة — بيروت (١٣٩٨)هـ.

٥١- **شواهد التوضيح والتصحيح**، لابن مالك، تحقيق: د. طه محسن، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق، (١٤٠٥)هـ.

٥٢- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤)هـ.

٥٣- **صحيح البخاري**، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧)هـ.

٥٤- **صحيح مسلم**، دار السلام للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩)هـ.

٥٥- الصواعق المرسلة، لابن القيم، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٥٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٧- طريق الهجرتين، لابن القيم، اعتنى به: السيد محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٠)هـ.

٥٨- عرش الرحمن، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز السيروان، دار العلوم العربية – بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٥)هـ.

٥٩- علل القراءات، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: نوال بنت إبراهيم الحلوة، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٦٠- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٢)هـ.

٦١- فتح الباري، لابن حجر، دار السلام – الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١)هـ.

٦٢- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة – بيروت.

٦٣- الكامل، للمبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٦٤- كتاب العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا – الكويت، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.

٦٥- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٣)هـ.

٦٦- الكشاف، للزمخشري، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـ.

٦٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠١)هـ.

٦٨- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر- بيروت.

٦٩- **مجموع الفتاوى،** لابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.

٧٠- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،** لابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٠٦)هـ.

٧١- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٣)هـ.

٧٢- **المختار في معاني قراءات أهل الأمصار،** لأبي بكر أحمد بن عبيد الله بن إدريس، رسالة دكتواره، إعداد: عبد العزيز بن حميد الجهني، جامعة أم القرى (١٤٢٣)هـ.

٧٣- **مدارج السالكين،** لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣)هـ.

٧٤- **مشكل إعراب القرآن،** لمكي بن أبي طالب، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٥)هـ.

٧٥- **معاني القرآن وإعرابه،** للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٧٦- **معاني القرآن،** للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، القاهرة.

٧٧- **معاني القرآن،** للنحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤٠٨)هـ.

٧٨- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** لابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢)هـ.

٧٩- **مفتاح دار السعادة،** لابن القيم، دار الفكر.

٨٠- **المقتضب،** للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب - بيروت.

٨١- **الموضح في وجوه القراءات وعللها،** لنصر الشيرازي المعروف بابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى (١٤١٤)هـ.

٨٢- **النشر في القراءات العشر**، لابن الجزري، قدم له الشيخ علي محمد الضباع، وخرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨)هـ.

٨٣- **النوادر في اللغة**، لأبي زيد الأنصاري، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية (١٣٨٧)هـ.

٨٤- **هداية الحيارى**، لابن القيم، راجعه وعلّق حواشيه: سيف الدين الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت (١٤٠٠)هـ.

٨٥- **همع الهوامع**، للسيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧)هـ.

٨٦- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، لابن القيم، تخريج وتعليق: السيد عبد الغني زايد، مؤسسة أم القرى - المنصورة (١٤٢٤)هـ.

٨٧- **الوافي بالوفيات**، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠)هـ.

٨٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خلكان، تحقيق: د. يوسف علي طويل ود. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩)هـ.



Quranic Readings Directions of Ibn-Algiem.

Dr. Abdul-Aziz Al-Gohani

Praise be to Allah and peace be upon his prophet
This research is about the Quranic Readings Direction for Ibn AlGozia .
I have gathered in it the topics which he talked in them about the direction of the Quranic readings and I made short for successive readings, which are subjects that existed in his books, he spoke in them in a wide form about these readings to explain a verse or a statement or a directory or to balance a saying. I documented these matters from the origins of readings books which were approved by the compiler and I got the poetic and prose evidences from the certified origins.
I began with a preliminary and I made four researches from it. In the first I talked about the early life of Ibn Al-Giem and his career briefly, and I let the second for the explanation of his grammarian position, and the third was for his attitude from the sequent readings and

the last one was about the preeminent features in his directing for the readings and I concluded the research

by the index of source references and the index of the topics.